

أصفر..

أحمر..

برتقالي..

- اسم العمل : أصفر.. أحمر.. برتقالي..
- النوع : قصص قصيرة
- تأليف : محمد عبدالواحد
- تصميم الغلاف : أحمد ملوانى
- إخراج داخلي : عبدالقادر فايز
- الطباعة : أتليه تاتش - المحروسة
- الناشر : الدار للنشر والتوزيع
- المدير العام : محمد صلاح مراد
- تليفون : ٠١١٢٥٨٠٠٤٦٧
- البريد الإلكتروني : eddar_press@yahoo.com
- فيس بوك : www.facebook.com/eldarpublish
- رقم الإيداع : ٢٠١٨/٧٤١٣
- التسجيل الدولي : I.S.B.N.: 978-977-702-216-3

أصفر..

أحمر..

برتقالي..

قصص قصيرة

محمد عبدالواحد



٢٠١٨

ألوان

أصفر.. أحمر.. برتقالي..

إرره.. إرره..

أيقن أن أمه لم تسمعه بعد.. تابع أنامل كفه الصغيرة يحركها قرب وجهه..

دادداددده..

ملل.. وقت مضى وهو كما تركته مازال.. مستلقيا على بطنه المثقلة بالرضعة.. فاردا ذراعيه الصغيرتين على السرير كأنه يطير.. يمسح بطرف لسانه الصغير رأس سن واحدة تشق لنفسها كحد الموسيقى فى لثته السفلى الخالية تماما..

إم م م.. دداه..

يتابع لمعة البلبل على البيرونة.. غاflت شفثيه وخرجت منزلقة.. صفراء.. منتفخة.. كإبهام أجوف فى نهاية سلسلة بلاستيكية بيضاء شد طرفها دبوس بلاستيكى إلى صدريته..

واقفة هناك.. مقلوبة على أحد جوانب السقف ترف بالأصفر والأحمر
والبرتقالي.. مد أنامله الصغيرة إليها في سعادة.. دددداهه.. رفت
بجناحها اليمنى تطمئن أنه بالقرب منه صديقاً لن يتركه وحيداً.. أبداً.

طررررروت

الدور الرابع.. التأمينات الاجتماعية.. قسم معاشات الأحياء..

على مكتبه المتهالك لوحة خشبية يعتلى صدرها بخط كوفى باهت "شوقى السيد / محاسب" ..

درجته الوظيفية هى الأدنى.. رغم ذلك تتكسد مكاتب الزملاء الأربعة مبتعدة مترا وأكثر لينفرد بمكتبه تحت الشباك المفتوح دائما فيحسبه القادم مدير القسم..

على كرسية الخشبى وسادة مهترئة بقعتها السنون بتشكيلات صفراء..

تمد له نموذجك فينكب بصلعته الخمسينية شبه المستطيلة ونظارته المقعرة يملأ الخانات.. "رقم بطاقتك؟".."الرقم التأميني؟".."تلاحقه بالبيانات فيسابقها متقافزا بالقلم..يميل فجأة بزاوية مستندا بصدرة على حافة المكتب تاركها الفراغ المناسب بين مقعدته و

الوسادة..”طرررروت”م مطوطة متحشجة تخرج من محبسها في معاناة بعد نفاذ صبر يودعها بأهة ارتياح ..تقطب ما بين حاجبيك.. تلتفت مترددا إلى بقية الموظفين فلا يبادلونك التفاتا لتتأكد بأنهم قد اعتادوا ذلك..تغلق عن الهواء المنقل بالرائحة جدران أنفك..يعود مستقرا بمقعده إلى الوسادة مستمرا فى التقافز بالقلم..دون أن يرفع رأسه يتمم ”لا مؤاخذة”..

تنتبه إلى المروحة الاستاند القديمة المجاورة لمقعده وهي تدور بحفيف معدنى يختلط بنقرات المطر خارج النافذة.. تدفع المروحة بدفقات الهواء إلى أسفل ليحمل فى طريقه ما يقابله ملقيا به من النافذة المجاورة إلى الشارع.. يمهر نموذجك بتوقيع وختم ” أى خدمة”.. فتتصرف ...

يلقى شوقى بالدوسيه الضخم بين الرفوف المكسدة خلفه.. يعاود الجلوس.. يمضغ حبة الفحم وهو يرمى محسن الكلب على مكتبه وقد أطلق عليه فى المصلحة” الأستاذ/ ثانى أكسيد الكربون”.. يرتشف بقايا كوب الكمون.. يتمم وهو يمضغ مرارة النقل ” دكاترة؟..هه”.. سبع سنوات يدرسونها بالإنجليزي.. على جدران العيادة تتراص دلائل النبوغ بكل اللغات فى قصاقيص الصحف والمجلات والشهادات..”فيزيتا” تليق بأستاذيته.. فى النهاية يعجزون عن تخليصه من قبضة هواء ملعونة تملأ قولونه فى تحد كل عشر دقائق.. يلقون بعجزهم على الأميبا..

- فى عرضك يادكتور .. أعطنى لها أى دواء.
- للأسف هى متحوصلة

ثبت عينيه على ظهر نموذج أمامه .. يدق بسن القلم البلاستيكى شبه الفارغ .. خط عريضا اسم " عصام " وأحاطه بدائرة .. لم تمر على خطبته لسارة غير ثلاثة أشهر .. بالأمس تهرب عصام ثانية من دعوتهم له للغذاء .. الجمعة الماضية بينما يرتشف معه الشاى معلقا على هزيمة منتخب مصر أمام غانا مؤكدا عدم صحة ضربة الجزاء .. وهو يضع ساقا على ساق أفلتت طرررروت قوية .. صمت ثلاثتهم لثوان .. حاول عصام أن يخفى تعمد غلق فتحتى أنفه بإصبعيه و كأنها حركة عفوية .. احمرت وجنتى سارة وهي تطرق إلى الأرض ..

- لا مؤاخذة

- ولايهمك ياعمى .. احم م

قبل أن يعاود شوقى الكلام ارتشف عصام من فنجان الشاى رشفة مضطربة انتهت برنة الفنجان على طبقه الصينى وهو ينظر إلى ساعته .. وقف معتذرا بأنه قد نسى موعدا هاما .. وانصرف .. أسرعت سارة إلى غرفتها صافعة الباب خلفها .. لحقتها عايذة خارجة من المطبخ وبيدها صينية ترن عليها متصادمة كاسات جيلى الفراولة المرصوصة لتطرق الباب متسائلة " إيه اللى حصل يابنتى ؟ .. افتحى ياسارة " ..

عايدة تشارك سارة غرفتها منذ سنوات.. تركت له سريرهما بعد أن كانت تنهض من نومها تبسمل مفزوعة كل ليلة ل”طرررروت” تشرخ صمت الليل.. ارتاح لقرارها.. على الأقل لن يضطر لأن يهرع كل ساعة إلى الحمام فيستغرق ساعة أخرى قبل أن يعاود سباته..

يغلق غطاء قلمه.. يسترجع مقاطعا من حلمه المتكرر.. الأميبا بشكل صرصور أبيض تتسلل ناحيته من تحت عقب باب غرفة خالية واسعة.. تنمو أرجل الأميبا الصرصور لتعلو بارتفاع جمل.. تواجه مثبتة فى عينيه عينيها الحماوين تحرك شواربها الصرصورية.. تسحب بإحدى أرجلها المشعرة من تحت بطنها منفاخا كمنفاخ الدراجات.. لنظرتها الأمرة يستدير راكعا بعد أن يسحب بنطاله أسفل ركبتيه.. تدس الأميبا المنفاخ باحكام.. صوت ضخ الهواء.. تششت تششت.. يئن.. تششت.. ينتفخ بطنه.. يتأوه.. تششت تششت.. يصرخ.. يتمزق قميصه.. ممتلئا كبالون يتدحرج مرتفعا.. يحاول ملامسة أرض الغرفة بقدميه ثانية دون جدوى.. ينسحب سقف الغرفة عن الفضاء مقرعا.. يتهدى إلى أعلى طائرا بعد أن أحكمت الأميبا سد فتحته بفلين يتدلى منها خيط غليظ.. يرتفع معتليا أعمدة النور المطفأة.. الحقول تجرى فيها جرارات زراعية وكلب ينتبه إليه فينبج رافعا رأسه ناحيته محاولا اللحاق به.. السيارات صف نمل يتحرك فى بطء على ظهر ثعبان أسفلى.. الأميبا تشد الخيط فجأة ساحبة سداة الفلين.. يندفع منه الهواء هادرا”طررررروت”.. يلف حول نفسه فى اتجاهات متعكسة..

طرررررروت.. يندفع بهبوط حلزوني.. طرررررروت.. السكان
يهرعون وهم يسدون أذانهم.. يتبادلون أقنعة الحرب الكيميائية.. بعض
أوراق الأشجار يخنقها الذبول.. طرررررروت.. يندفع هابطا إلى وسط
حديقة.. تتحنى زهورها الحمراء والبيضاء ذابلة.. يعلق فجأة كبالون
فارغ على أشواك مدبية لصبار ضخمة..

انتبه إلى جلسته على المكتب وهو يضرب على بطنه محاولا إزالة آثار
شوك الصبار.. كان جلد بطنه مشدودا كطبل.. يهرع إلى حمام
المصلحة.. بيد يغلق الباب وبالأخرى يسارع بفك الأزرار.. كالعادة
خطوات زميل أو عميل تقترب من باب الحمام ليقف منتظرا دوره.. وهو
جالس يشد "السيفون" ليغطي بهدير الماء على "طرررررروت" دون
فائدة.. يطلقها مستسلما تدوى بصدى.. يخرج وهو يعدل من ملابسه
دون أن يلتفت لوجه الواقف منصرفا - لا مؤاخذا.

الشهر الماضي أخذ ثلاثاء إجازة عارضة مصطحبا عمرو ليقابل مدير
المدرسة الذي استدعى مدرس الجيولوجيا الأستاذ/ناصر إلى
مكتبه.. وهو يرفض الجلوس غاضبا اتهمه شوقي بأنه يمارس الضغوط
على ابنه ليدفعه دفعا إلى أخذ درس خصوصي لديه.. وأن عليه أن
يخجل من نفسه.. و..طررروت خاطفة.. احمر وجه المدير.. تجمعت
كل عضلات وجه الأستاذ ناصر حول أنفه دافعا بشاربه الكثيف فوق

شفتيه المزمومتين ليسد فتحتى منخاره..تمتم باللامؤاخذة منصرفا تاركا عمرو بين أيديهما..

سحب ورقة فولسكاب بينما الطنين المعدنى للمروحة يعلو وينخفض..
خط فيها من بعد التحية طلبا بسلفة خمسمائة جنيها من راتبه لظروف خاصة مذيلا الطلب بالاممتان والتقدير.. استمر واقفا أمام مكتب المدير لخمس دقائق منهيها قراءته المتأففة بتناوله القلم الأحمر ليخط ضاغطا الحروف بين أسنانه “مرفووض”..

- ليه سعادتك؟
- مش كفايه الإحراج اللى مسببه لنا مع العملاء كل يوم؟
- ودا يعنى بايدى سعادتك؟
- اتفضل على مكتبك يا أفندى.. صحيح.. اللى اختشوا ماتوا.

استدار شوقى فى مكانه متباطئا.. قطب ما بين حاجبيه.. زم شفتيه وهو يغلق عينه اليسرى.. فى تصميم شد عضلات بطنه يجمع من جوانبها ما تفرق دافعا إياها فى إعصار هادر إلى القولون..” طرورورورت”.. مأخوذا رفع المدير وجهه مقوسا حاجبيه وقد ارتعشت شفتاه بالغضب.. التفت شوقى إليه مبتسما وهو ينصرف - لا مؤاخذة.

نباح

حتى باب المسجد وجده مغلقا..فهم لا يصنعون حسابا لمن يريد الله فى منتصف الليل ليبيكي..دس يسراه فى جيبه وسيجارة بين شفثيه ومضى يجوب الشوارع المظلمة..فى أذنيه اختلطت نهاية زوم ببداية زمجرة..انتبه أن كلاب المدينة لا تحب دق الحذاء فى الواحدة صباحا..تردد فى اجتياز الشارع..تحلقت حول خطواته المضطربة ترج أعصابه بنباح مبوح متصاعد يخرج من بين أنياب طويلة مبللة بمخاط..جرى..رهيبا كان صوت نباحها الغاضب مع أظافرها الصلبة تدق الإسفلت خلفه فى اصرار..عقر أحدهم طرف سرواله..سمع صوت المزق..تتلجت أنفاسه..دقت العروق سطح جمجمته..رمح مبتعدا وقد ترك بين انيابها اطراف البنطلون..فى مكانها وقفت تنبح وتسبه هو و آباءه..تنبح وتتوعده لو مر ثانية من هنا..استمر يجرى فى الشوارع المظلمة..الباردة..طرطش حذائه فى مياه بالوعة طافحة..داهم عينيه مصباح سيارة فرملت أمامه فى

قوة..أخرج الضابط يده من زجاج نافذتها المفتوح ممسكا بتلابييه
..سأله عن سبب جريه في هذا الوقت من الليل ..لم يرد..بحث عن
بطاقته الشخصية..لم يجدها .

تك.. توك

وصلنا الكورنيش.. قطرات الندى تبلل الملابس الرياضية لكينا.. برودة نسيمات الواحدة صباحا تلسع الخلايا وتخز أغشية الانف.. بدأت احماء عضلاتي استعدادا للجري.. فى صمت لايزال واقفا يدس كلتا يديه فى جيوب الترنج.. أردت تشجيعه.. كبندول حركت جذعي يمينا ويسارا.. لامست ببطن كفى الأرض مرات عدة .. لم يلتفت تجاهى.. ظل واقفا يصب كل تركيزه على نقطة من أسفلت الطريق الخال من العجلات.. نقيق ضفدع ثرثار يتناهى من جانب مياه النيل المظلمة.. صحت متعمدا المفاجأة " واحد.. اثنان.. ثلاثة " .. بخطوات بطيئة بدأت الجرى.. لم يتحرك.. قبل أن أقف ثانية كان قد ترك لخطواته ان تتهادى به..

بالأمس قالت لى أمه بعد أن فتحت الباب " آسفة لأنى ارسلت اليك فى هذا الوقت.. لم ينطق بكلمة واحدة منذ أربعة أيام وأنت صديقه الوحيد" ..

بدأ صوت حذائه الرياضى يأكل الأرض بجانبى.. تك.. تك.. تك.. تك.. تك.. تك..

دخلت حجرته.. كان جالسا على الفراش نصف جلسة.. وجهه وساقاه مفرودتان إلى الحائط وظهره إلى الباب.. ناديته مرتين فلم يلتفت.. أغلقت أمه علينا الباب فى هدوء مبتعدة فى حزن.. ذقنه لم تمسها الموسيقى منذ أسبوعين على الأقل.. " لماذا؟ " .. لم يرد ...

ضخخت بقية قوتى إلى ساقى.. رغم العضلات المجهدة ضاعفت سرعتى ليندمج فى الجرى أكثر.. بخار الليل يتسلق مع فراشات رمادية كئيبة لتختنق المصابيح المتباعدة على طول الكورنيش.. تك..توك..توك..توك ..

جلست بجانبه على الفراش وأنا أنحى عنه الغطاء المتكوم جانبا.. لمحت دموعا تنزلق فى صمت على جانب أنفه ساحبة خلفها خطأ لامعا يتسلل مبللا ما بين شفثيه.. بارتجافة خفيفة لفكه السفلى أدركت إصراره على أنه لن يتحدث.. أبدا..

نهش التعب بأظافره وجه الفخزين .. استمر حذائه فى صوت مكتوم
يلتهم الطريق مختاطا بصوت لهائى .. تك .. تك .. تك .. تك .. تك .. تك ...

تحركت فى جلستى على الفراش .. قابلته بوجهي " هل تذكر لىالى
الجرى على الكورنيش؟" .. ظل صامتا .. سألته " غدا؟ " .. بعد دقائق
صمت وبإيماءة خفيفة وافق ..

شد عضلي أمسك فجأة بالعضلة الخلفية لساقى اليسرى .. انتبهت
لشحمتى أذنى وقد اشتعلنا بتدفق الدم .. رتئنا لا نستطيعان اللحاق
بلهائى المتسارع .. مجهدا صحت " لنسترح " وتهاويت لاهئا على أريكة
حجرية وقد التصق قميصى بظهري .. نبضاتى تدق كتفى الأيمن فى
عنف .. لم أسمع لهائه بجانبى ..

تك .. تك .. تك ..

التفت .. كان لايزال يجرى مبتعدا .. ناديته .. تك .. وقفت .. لم تسمح
لى عضلاتى بالتحرك .. تابعت شبحه يبتعد فى انتظام .. تك .. يبتعد ..
توك .. تضاعل إلى نقطة صغيرة فى نهاية الطريق ابتلعها الظلام
تماما .. توك .. توك .. توك .

المزرعة

بأصابع مضطربة أشعل سيجارة أخرى..

رغم ذهنه المشتت استمر "صلاح" منكبا بصلعته الأنيقة تلمع تحت
نيون الصالة محذقا في خطوط لوحة التصميم الهندسى..

مازالت الأخبار تتواتر لتراكم من غموض ما يجرى الآن فى شوارع
وبيوت المدينة..

تتقافز منال بالريموت فى عصبية بين الفضائيات للامسك بتلابيب
خبر يؤكد أو ينفى..

بأصابع ثلاثة ثبت المسطرة حرف T ليشد سقف الدور السابع عشر فى
البرج السكنى.. سرعان ما عاد عليه بالمحاة ليزيله..

رسائل التحذير تتوالى على الآيفون الملقى على جانب اللوحة لتطرق رأسه بالنغمات المختلفة للواتس وتوتير..

بجانب عينه تابع كريم - وقد منعه عن الذهاب هو وريم إلى مدرستيها منذ أكثر من ثلاثة أسابيع بعد تكرار حالات الخطف المتسارعة - غائصا بالبحث على اللاب توب ليصبح فجأة - رأيتهم ياماما.. رأيتهم.. الفيديو هنا على الفيس بوك .

أسرع إليهم يتابع.. كاميرا موبايل ترتجف من مخبأ خلف كشك كهربائي بشارع هادئ.. عملاقان فى البعيد ظهرا يقتربان وقد فاق طول كل منهما ارتفاع باب المدرسة التى انطلق منها الأطفال خارجا يصرخون ويلقون حقائبهم أرضا مواصلين هروبهم فى اتجاهات مختلفة.. النقط كل منهما طفلين حملهما على كتفيه.. انطلقا يعدوان بصيدهما بعيدا ليختفيا مع استغاثة الأطفال الأربعة ب "بابااا " و " ماماااا " فى ضباب نهاية الشارع..

التفتت إليه منال بعينين متسائلتين فى قلق وهي تسحب رشفة من بقايا النسكافية.. أدار لها ظهره وهو يلتفت عائدا فى تردد إلى لوحته وقد تداخلت كل خطوطها فى رأسه وتضيبت خلف خيوط دخان السجارة التى اضطر أن يغلق لها نصف عينه اليسرى..

ارتج باب الشقة فجأة بضربات يد كبلطة.. قفز وقلبه يتفجر بالنبض ليؤكد بالمفتاح سكة اضافية وأحكم الترياس.. قبل أن يندفعا هارين إلى الغرف الداخلية تفسخت المفصلات الحديدية ليستسلم الباب مفتوحا ضاربا الحائط خلفه فى عنف.. تراجعوا مرتجفين مكومين على أريكة واحدة.. من سحابة الغبار والإسمنت تقدما يقتحمان الصالة وقد خفضا من رأسيهما قليلا تقاديا لاصطدامهما بالسقف.. أفخاذهما كجذوع شجر ضخمة مغلقة بسرابيل جلدية سوداء.. الشعر البنى كثيفا يتصاعد فى دوامات على البطن والصدر المتضخم يلف حول كامل العنق الغليظ ساندا أسفل الوجه المثلى.. تماما كوجه فأر ضخم بلا شوارب.. فردا بين أيديهما أجولة خيش.. بدأ أحدهما باصطياد صلاح أولا.. بضربات متتابعة حاول إبعاد الجوانب الخيشية الخانقة عنه.. ضربتين غاضبتين للجوال بالحائط -إحدهما تنملت لها مؤخرة رأسه - دفعته للاستسلام متوقعا فى ظلمة الجوال حتى وهو يرتفع به عن الأرض مستقرا على الكتف العالى..

تهادت أصوات الشارع البارد إلى أذنيه.. إرتطم والأجولة الأخرى بأرض معدنية.. صرير باب ثقيل صدئ ينغلق ليهدر موتور عاليا وتتحرك الأرض ..

أطل برأسه من الجوال بشهيق وسعال متتابعين.. تحسس بيده.. الأرضية لصندوق عربة مظلم إلا من ضوء مصباح صغير شاحب يرتجف فى

السقف كاشفا اشباح الأجولة الثلاثة..الهواء مشبع برائحة عرق آدمى
مختلط برائحة دماء من كانوا هنا منذ ساعات..يفتح أعناق الأجولة
لتطل تباعا أشباح رؤوس منال وكريم وريم واجمة صامته يحاولون
ابتلاع أكبر قدر من الشهيق..

فى صعوبة تمكن من اعتلاء حواف برميل بلاستيكي نصف مملوء
بماء عطن..دس بأنفه وعينيه فى ثقب أعلى جدار الصندوق..لمح
ظلال الكتبان الرملية للشاطئ تعبرها أصوات أمواج البحر ورائحة اليود
المميزة ممتزجة بهبات الرياح الشتوية الباردة..توازت السيارة مع أسوار
حجرية شاهقة تعلوها أسلاك شائكة عليها علامات التحذير من الفولت
العالى..اجتازت بهم بوابة ضخمة انغلقت خلفهم بصريير و ارتطام
معدنين ..

فى منتصف ساحة واسعة فرملت السيارة بقوة..مال البرميل متداعيا
بصلاح إلى أرضية الصندوق قاذفا خلفه بالماء العطن ليبتل بنطاله
تماما..

قرقع المزلاج المعدنى.. انفتح باب الصندوق.. زمجر أحدهم مع
إشارات تأمر بالنزول..حينما قفز هابطا كانت أمواج البحر خلف
الأسوار مازالت ترسل بأصوات تدافعها مع هبات الهواء
المضغوط..تراصوا جنباً فى صف..

أخرج عملاق الاستقبال مقصا.. شق ملابسهم تباعا عدا السراويل الداخلية..قاومت منال يمينه المشعرة وهى تزيح عنها السوتيان.. بكف اليسرى هوى على صدغها فانصاعت تماما..

من عنبر على واجهته بخط عريض " الحجر الصحى " خرج عملاق فى بالطو أصفر.. عينة من الدم سحبها من ذراع كل منهم..ضخها فى أنبوب يعتلى قاعدة جهاز ديجتال أباح بنتائج رقميه فى تتابع.. ختم على ظهورهم بالخلو من الفيروسات الكبدية والايذر..

تحرك الصف خلف العملاق مجتازا بهم البوابة الضخمة لعنبر التسمين..لمح صلاح على بوابته وهم يجتازونها لوحة لرجل عار سمين يتحسس كرشه بابتسامة شبع .. أرض واسعة مسقوفة تتراص على جانبيها عشرات من الأقفاص الحديدية الممتلئة كل منها بشخص.. العيون والهمهمات من داخل الأقفاص تتبعهم وهم يتحركون فى الممر الفاصل بينهم.. "صلاح" .. "صلاح" .. خيل إليه أنه سمع اسمه قادما من داخل إحدى الأقفاص.. قريب له ؟..جار ؟..صديق عمل ؟..تلفت .. لم يتبين فى الإضاءة الخافتة ملامح الوجوه..

الهواء مضمخ بأمونيا البول.. داسوا بأقدامهم الحافية على الأرض بقايا أرز مسلوق وقشر بطيخ.. أمام الأقفاص رصت أنصاف براميل معدنية مشقوقة طوليا وقد جفت على جوانبها بقايا المياه المخلوطة بصلصة بينما استقر فى القاع ماتبقى من حبات كوسه كاملة وفاصوليا

بيضاء.. لمح عملاقا قادما من بطن العنبر بوجه الفأر المثلث وعلى ذراعه كومة من الخبز يلقي بواحد منها أمام كل قفص.. تمتد من بين القضبان أيدي وأذرع بعضها مشعر وبعضها أملس ناعم شاهق البياض وأخرى طفولية قصيرة لتلتقط جميعها الخبز فى بطء مستسلم حزين..

أمام قفص فارغ توقف بهم العملاق.. أخرج من جيب بنطاله الجلدى شريط قياس.. دار به حول ذراع كل منهم وفخذه وخصره.. فتح باب القفص دافعا كريم بداخله وهو يصرخ " بابا.. بابا " .. أوصد الباب مع سكة القفل.. كان سقف القفص منخفضا فدار كريم حول نفسه دورتين مذعورتين محاولا اكتشاف ما بداخل قفصه.. حاول صلاح تهدئته.. أشارت له منال بأن يقعى جالسا حتى لا يتألم ظهره من استمراره في الانحناء.. وهو يجلس باكيا لاحظ إلى جواره كومة من خراء آدمى لساكن القفص السابق فتقياً..

أزاحتهم جانبا فجأة يد ضخمة لعملاق كانت ستترته الجلدية ناضحة ببقع دم.. من حزامه يتدلى ساطور.. فتح العملاق الجزار القفص المجاور لكريم.. أمسك بتلابيب من بداخله يسحبه خارجا.. كان سمينا عاريا فى بداية الأربعينيات يبدو من هيئته أنه معلم بمدرسة.. بقضبان القفص تشبث السمين بيديه.. شده الجزار بقوة مضاعفة.. دفع السمين بقدميه ليزيد من مقاومته صارخا فى رعب حتى أنهم سمعوا ضراطه يتتابع فى اللحظة التى خلصه فيها العملاق الجزار من ثنايا القفص

الذى سقط على جانبه مرتكزا بارتطام معدنى على قفص كريم..رفع
الجزار السمين على كتفه وانطلق يعدو به خارجا من باب العنبر ..

تحرك العملاق بثلاثتهم عائدا إلى الساحة.. لمحوا امرأة تعدو هاربة من
عنبر الحليب.. أمسك بشعرها عملاق كان يتابعها.. جرها من كلتا
يديها على الأرض عائدا بها إلى العنبر.. تابعوها عند الباب
مشدوهين.. رائحة الحلبة المغلية والمغات تهب زيتية ثقيلة من الداخل..
أجلسها العملاق على مقعد من بين خمسة مقاعد.. بسيور جلدية شد
ذراعيها إلى خطاطيف صغيرة مثبتة إلى الحائط في الخلف ليبرز
الثديين الممتئين أماما .. مسح عليهما بيديه وهو يربت على كتفها
لتهدأ وتدر اللبن.. بممصان مطاطيان غطى حلمتيها.. ضغط زرا
فارتفع صوت كمبريسور شفط.. خلال أنابيب شفافة انساب الحليب إلى
جركن سعة ٢٠ لترا ملصق عليه بخط عريض " لبن المزرعة.. لبن
بشرى كامل الدسم "وبخط أصغراشارة إلى تاريخى الإنتاج وانتهاء
الصلاحية..

زمجر العملاق يدفعهما لمواصلة التحرك..طلبت ريم للمرة الثالثة
حماما..لم يجد صلاح جوابا..لمح الماء مصفرا ينساب من بين فخذيها
ليطرطش على الأرض وهى تخفى وجهها بكفيها..

استمرا لخطوات ليتوقف بهم أمام باب "عنبر التخصيب"..أدار فيه
مفتاحا ضخما وجر ضلفته خارجا..أطل من ظلمة الداخل خمسة رجال

عراة لهم أجساد أبطال كمال الأجسام يتقدمهم زنجى ..لمح صلاح بين أقدامهم الحافية تتناثر بقايا قشر جمبرى وعظام سمك وعلب فياجرا فارغة..قضبانهم ضخمة ما بين منتصبه تهتز فى انتظار الأنثى وأخرى نصف منتصبه قد انتهت من مهمتها لتوها وتقطر بمنى..من بطن العنبر توالى صرخات أنثى تفصلها لحظات صمت ممزوجة بأنين يتبعه بكاء ونشيج ..أسندت منال رأسها على كتفه اليسرى محاولة التقيؤ دون جدوى..

أمسك العملاق بذراعيها ليسحبها داخلا إلى الزنجى..مستميتة تشبثت بيد صلاح..فى عنوة فصل بين كفيهما مزمجرا..دفع بها إلى الزنجى فالتقطها مواربا الباب بقدمه لكنه انفتح بعنف ثانية مع صرخات منال ومقاومتها.. أدار الزنجى ظهرها إليه بينما أخذ آخر رأسها إلى أسفل فى وضع ركوع.. شد الزنجى سروالها الداخلى إلى ما تحت ركبتها وأعاد ترتيب وقفته خلفها ثانية فى وضع مناسب.. أشاح صلاح بوجهه وجذب ريم من يدها يتبعان العملاق وقد أحكم اغلاق الباب بالمفتاح ثانية..

كان طنين صرخات منال وعضلات صدر الزنجى مازالت تملأ رأسه حتى أنه لم يقرأ التعليمات المكتوبة على جدار عنبر الرضع تحدد لكل امرأة ٩ أشهر مع شهر واحد للراحة الفاصلة لتعود ثانية لمواصلة الإنتاج..

من باب العنبر خرج عملاق صندوق صغيرا يرفس بداخله أربعة رضع عراة ناوله لعملاق آخر فنفحه قطعتين من فضة وانصرف بهم مبتهجا..

أمام عنبر خط عليه " المقصب " وقف بهما دافعا صلاح إلى ذيل طابور المنتظرين في ترقب ورعب صامتين..تقدم آخر ساحبا ريم التي لم تقاوم وانطلق بها مبتعدا..

تابع صلاح الذبائح تخرج تباعا على عربات خشبية وقد تقطعت أوصال بعضها وسلخ عنها الجلد بينما بقي البعض ذبيحة كاملة لمح بينها الرجل السمين وذبيحته ممددة تترجرج على ظهر العربة الخشبية مع قرقعة عجلاتها.. في انتظار الذبائح كانت هناك سيارة ميكروباص لمطعم على جانبها صورة ضخمة لصينية من حبات الفول المسلوق تتصاعد منها الأبخرة تعلوها فخذة آدمية مكتنزة مشوية شواء فحم بينما يتابع الوليمة في الصورة عملاق وابنه وقد فغرا فاههما يرمقان الصينية في سعادة أسرية بالغة..

خطوتين تحركهما الطابور إلى الداخل..

الهواء مضمخ برائحة الدم وأبخرة اللحم المذبوح لتوه..ذباب أزرق يطن صاعدا في أقواس هابطا بلسعات على الأزرع و الأعناق..

لمح صلاح أمام الطابور مجسم حديدي فارغ لإنسان بدون رأس أشبه ببذلة محارب من العصور الوسطى..بضربة واحدة من سوط دفع عملاق شابا يبدو عليه أنه كان على وشك التخرج لتوه من الجامعة هذا العام..تحرك الشاب يئن مرتعدا..حاول التراجع في رجاء ..ارتفع السوط فى الهواء ثانية فعاود سيره المضطرب ليستقر بكامل جسده واقفا داخل المجسم الذى كان مفتوحا على مصراعيه..ضغط عملاق المجرر على زر لينغلق نصفى المجسم بارتطام معدنى..مضطرا استقام الشاب فى وقفته ليظهر أطول مما كان عليه مرسلا رأسه خارج المجسم..يتلفت بها مشدوها..حرك العملاق زرا إلى اسفل..فى ومضة كهربائية خاطفة برق من مكمته حول الرقبة نصل دائرى لامع جز كامل الرقبة قاذفا بنصفها يعلوه الرأس إلى الأرض لتندرج مع أنة هامسة فى دورتين مستقرة فى النهاية على احدى جانبيها وقد جزت على أسنانها ..انبثقت نافورة الدم إلى أعلى فى دفقات متتابعة لتسيل على الأرض المائلة تسعى نحو قناة أسمنتية تنتهى بها إلى بالوعة ضخمة..التفت صلاح إلى الواقف خلفه يتابع مشدوها غير مستعد للإجابة ولو بالعين..

انفتح مصراعى المجسم الحديدى ليتلقف العملاق الجسد دون الرأس قاذفا بها إلى منضدة يسرع فوقها منشار كهربائى يهبط به على الجسد طوليا ليشقه فى ثوان..ينزع الكبد راميا به أعلى كومة من أكباد يرصها عملاق آخر فى قفص يشبه عشرات الأقفاص المبردة فى

ثلاجة خلفهما وقد تنوعت البيانات عليها بين أفضاص للكبد وأخرى
لأثناء طازجة جاهزة للحشو والشى ..تابع ماكينة فرم ضخمة يلقى إليها
ببقايا الجلد المسلوخ مع قطع مهترئة من اللحم معبئة أسفلها أجولة
بلاستيكية سعة ١٠ كيلوجرامات بلحم مفروم ..

وخز العملاق صلاح فى ظهره بيد السوط فتحرك .. أطبق الجسم
مصراعيه فدفح المسطح الحديدى ظهره أماما ليعتدل واقفا .. حاول
تحريك يديه .. فاجأه أنهما تتحركان فى حرية .. ساقيه أيضا ..
اضطربت الفرحة فى عروقه .. كابوس ؟ .. مجرد كابوس ؟ .. بحث بيده
عن أطراف قميص نوم منال بجانبه ليشدها منه ويوقظها .. أو
لتوقظه .. أقواس الذباب الأزرق تطن فوق رأسه ينتظر راجيا لسعته
ليصحو لمح العملاق يحرك الزر الكهربائى .. فى صوت مبوح
نادى منال مرتين .. ضرب بيديه يصرخ عليها ان تستيقظ وتوقظه دون
جدوى .. استمر وهو يجز على أسنانه يرمق مشدوها النصل الدائرى
وهو يلمع مستعدا للخروج بالومضة الكهربائية الخاطفة .

تربص

تماما.. على طرف الفص الأيمن من الكبد.. الخلايا الغريبة..
الزرقاء.. النشطة.. استمرت فى تصميم تغزل من خلفها مزيدا من
التليف.. الخلايا الغريبة.. الزرقاء.. النشطة.. تلتف فى خبث حول
خلية أخرى.. تكممها.. تخنقها تماما.. فتشحب.. وتتهدل حوافها وقد
تبيس ما يملأها من سيتوبلازم..

خشخت أعواد الذرة وهو يباعد بين كيزانها المبللة بندى
الفجر مطلا بالفوهة المزدوجة - أم روحين - لبندقته الموسين
الروسى العتيدة.. من جيب سيالته أخرج الرصاصات يحشو بها الخزانة
المعقوفة.. يدور بميزان التنشين فى فدان القطن المجاور.. توقف تماما
عند منتصف صلعة جابر.. كان هابطا بها يتفحص شيئا ما على
أوراق القطن.. انتظر بعينى صقر جائع صعودها وعودتها إلى مركز
الميزان ...

واحدة من الخلايا الغربية.. الزرقاء.. النشطة.. تقفز إلى جدار المعدة.. تدق أوتادها.. تشد خيمة.. تبدأ الخلايا حولها فى الشحوب.. شلال من الحمض يبدأ فى الانسياب من ثنايا بطانة المعدة..

أحس بالحموضة تهاجمه.. بصق فى صمت.. لا.. لم يهرم بعد.. مازالت سبابته على الزناد ثابتة.. أكثر ثباتا من الأعوام الفائتة.. مازال قادرا فى ليل المغارة.. بين كل المطايريد.. أن يهشم كوب الشاى بين إصبعيه.. مازالت يده الأعلى سعرا.. لو كان للباكوين المستقرين فى جيب سيالته منذ البارحة أن ينطقا لشهدا له بذلك.. رصاصته الوحيدة بين المطايريد التى لا تحتاج لتأكيدا بأخرى ...

خلية جريئة تطلق صافرتها من داخل المخ.. تؤكد للبقية أنها تسلقته فعلا.. بل وتمكنت من خنق أولى خلايا مركز الاتزان.. النقتت الأخرىات إليها.. تحفرن للتسلق ممسكات بتلابيب الحبل الشوكى ...

قرش من الأفيون كاف للتخلص من دوار الرأس هذا.. وعده الحاج أمين بباكو ثالث بعد أن يجيئه بخبر جابر الذي اشتكاه فى المركز لأنه نقل الجسر داخل أرضه خمسة أشبار بطول الفدان.. الحاج أمين صادق فى وعده.. جريه مرتين من قبل.. وعموما.. إما الباكو.. وإما رصاصه فى مغربية الغد تنطلق من داخل القطن لتشق طريقها بين أعواد الذرة لتصفى الحساب ...

الخلايا الزرقاء الغربية النشطة تنقسم فى نهم.. فى جنون..
تشحب تحتها خلايا المخ مستسلمة ...

شدد من ربط عمامته على رأسه.. الدوار يزداد.. يخالطه
صداع.. ببقايا تركيزه أحكم التصويب..تك.. ساخنة وكالبرق لامست
أذن جابر الذي التفت مذهولا..تك.. تك.. انبثقت نافورة دم وسط مقدمة
الصلعة.. شقت الفضاء الأخضر بدفقات حمراء متتابعة.. طرطشت
على أوراق القطن لتسيل من أطرافها بخيط رفيع متقطع.. انهبد جابر
بثقله وذراعيه المفرودتين على الأرض.. استمرت النافورة الحمراء
تضرب طين الجسر بهسيس مرعب تتابعها من عيني جابرتى لم تعد
ترمش إلى الأبد نظرة رعب و ما تجاوز الألم..اقترب عصفور ليحط
على صدره لثواني قبل أن ينتبه إلى أن الصدر جامد بارد هرب منه
النبض فضرب بجناحيه مبتعدا إلى أعلى شجرة توت فى الأفق البعيد..
نظمت الخلايا نفسها مؤكدة فيما بينها أن أياما ثلاثة كافية لإنهاء
المهمة.. تمكنت احدى المجموعات تماما من الغزو الكامل لأطراف
فص الكبد..

خرج يتلفت مهرولا من بين أعواد الذرة.. ضاربا يده على جيب سيالته
المتقل.. متحسسا ألما خفيفا فى جانبه الأيمن.. مؤكدا لنفسه ولفوهة
بنديته "الموسين" المطلة من جيب سيالته بفوهتها المزوجة أنه ليس
فى هذه الدنيا ما هو أسهل من احتراق الموت ...

في النهر

استمر آذان الفجر ينسحب ممطوطا.. مختبئا بين الغمام..

كان سطح الماء البارد.. المتلاطم في اضطراب مكتوم.. قد نجح لتوه
في تخليص جثة المرأة التي احتجزها منذ بداية الليل زحام من ورد
النيل يرافقها قطعة من خشب ونصف جردل بلاستيكي أخضر..

تهادت الجثة في طفوها ثانية مع التيار..

الوجه منكفي داخل الماء وقد غاب معظمه بين تموجاته.. الذراعان
مفرودتان في تقاطع صليبي مع الجسم وقد انحسرت عنهما أكمام
البلوزة الصفراء يلتصق بباطن ياقتها ماركة عالمية.. الفتحة الضيقة
للجبية السوداء تسمح لساقها بانفراجة بسيطة.. بالرأس الصلعاء تماما
تشبثت شعيرات سوداء متفرقة...

خمش النهار عتمة الأفق.. تراجع الصدى الغليظ لنقيق الضفادع واحدا إثر آخر.. انطلقت جموع العصافير بزقزقات حادة متفرقة تمس سطح الماء فى طيرانها.. طاف واحد منها أعلى الجثة الطافية.. استقر هابطا على ظهرها.. تقافز مرتين على الكتف الأيسر وهو يميل برأسه متأملا.. التقط واحدا من النباتات التى علقت أشواكها المدببة بجانب البلوزة.. فى ريبة وصمت انطلق ثائية يضرب بجناحيه مبتعدا إلى أعلى يلاحق البقية ...

اصطدمت إحدى الذراعين المفرودتين بالجانب السفلى لقارب صيد صغير.. يتماوج رتيبا وقد غطى ما يلامس الماء من جوانبه زغب كثيف من ريم أخضر.. يتردد فى أعماقه شخير صياد اعتاد صيد الليل.. فى بطاء دارت الجثة حول نفسها دائرة لم تكتمل.. أخذت الرأس اتجاهها صوب الشاطئ..

قطع واحد من الفلاحين تتأويه ليدس حبة من الجميز المنتفخ بالحلاوة التقطها لتوه من فرع تدلى مكتنزا.. بباطن كفيه فرك عينيه.. بقدمه الحافية المترددة داس إحدى لفائف الخس المنداة المصفوفة على طول القيراطين.. نعق غراب يعلو شجرة قريبة.. بصوت مبوح نادى الآخر الذى كان قد كف بالفعل عن متابعة وضوئه على جانب النهر ووقف يتابع مشدوها وهو يمسح كفيه المبللتين بطيئا على جانبي جلبابه.. استمرت الجثة تقترب طافية فى هدوء واصرار.. قبل أن يسأل كلاهما

الآخر إن كان يرى ما يراه كانت الحقيقة قد استقرت تتماوج طافية تحت أقدامهما تماما ..لابد من عمل إزاء تلك المصيبة التي رماها لهما هذا الصباح الشتوى..استقر رأيهما بعد تشاور بالعيون بأنها الفرصة .. سيعز تكرارها للانتقام من عزية أبو اسماعيل بعد عركة المولد الأسبوع الماضى..والتي فيها سال الدم واندعكت الوجوه بالتراب وقش الجرن ..تسللا يخوضان فى الماء فرفع جلبابيهما وفردهما بموازاة صدريهما..تحركت الأذرع الأربعة متماوجة من أسفل تسلم الجثة في هدوء لاتجاه التيار ...

تركت الجثة وراء ساقيهما عزبتين .. خشخشت تجمعات الغاب على شاطئ العزية الثالثة تباعد بينها ذراعان قويتان لشاب امتدتا تضمانها إلى الجرف .. هدأت نبضات قلبه .. فكر أن يرفعها .. أن ينادى الناس .. لمعت بين أنامل يدها اليسرى دبلة ذهبية .. تلفت .. كشف آخر الغيطان بسرعة استقرت الدبلة فى جيب جلبابه وهو يمسح ما علق بحوافها من نتف الجلد .. ملابسها المبتلة .. المشدودة .. تمنح ظهرها كل المنحنيات الأنثوية .. هاجسه أن يرفع ذيل جيبتها .. أن يكشف لون ملابسها الداخلية .. وأن يرى حواف رديها .. لكم يعذبانه بتماوجهما كلما نزل شوارع المدينة .. بإصرار مفاجئ .. وبأقصى ما فى ساقيه دفعها .. تحركت طافية لتبتعد من جديد .. قبل أن تختفي عن ناظريه تماما أحس بأن فرصة ما قد مضت لمجاعة امرأة ...

ملأت الشمس النهر.. خرج قرموط برأسه الضخمة.. السوداء..
المستطيلة.. يتابع بجانب عينه سير الجثة.. بشواربه الطويلة اقترب
يتحسس زرقة الوجه.. الجبهة التي سقط عنها حاجباها منذ يومين..
في تردد استدار.. بقرار حاسم طرطش له الماء مضى مسرعا يضرب
بذيله العريض ناحية القاع...

اقتربت الجثة تماما من شاطئ المركز.. هرولت قدمي أحد المخبرين
ناحية المكتب بالبلاغ.. انتفض المأمور يضرب بكفيه على كومة
القضايا المرصوفة والتي يستطيع الأعمى أن يراها على جانب مكتبه
فانسكب كوب الشاي وهو يزعق فيه بأن يتصرف.. بعد دقائق.. كانت
العصا الغليظة للمخبر تدفعها إلى وسط الماء.. دارت حول نفسها..
تلاطمت تحتها موجتان متعاكستان رفعها إلى أعلى.. في هدوء عادت
تطفو عائدة إلى وسط النهر ...

قبل أن تغيب الشمس بدقائق اصطدمت الجثة بأحراش من الغاب..
تخللتها.. استقرت بداخلها تماما.. بعيدا عن كل العيون.. انفصلت
فجأة كتلة من اللحم كانت تتدلى من كعبها.. تماوجت في هبوطها
ناحية القاع الذي كان يستعد لاستقبال ما سيتساقط إليه تباعا ...

قطة رمادية مبقعة بالأسود

من غرفة النوم البعيدة تتهادى تلاوة " عبد الباسط عبد الصمد " .. استيقظت من إغفائها جالسة على السجادة التي اشترتها منذ عشر سنوات في الأوكازيون تفرش كامل الصالة .. تتنفس عميقا بشهيق تترد به بقايا الأحلام و زفير تتعوذ خلاله من الشيطان الرجيم ..

تتكئ بكفها المنتفخ على بطن كرسى الأنتريه .. تهم بجسدها الثقيل لتقف .. ترتكز على كعب اليمنى الخال من ترسبات الأملاح .. بسرعة تدوس بجانب اليسرى فتتنز و قفتها .. سوت ماتكرمش من الغطاء الجبردين للكرسى .. من تحت منضدة الشاي الصغيرة تهادت القطة الرمادية المبقعة بالأسود .. إلى جانب دولاب التليفزيون المطفأ تمددت القطة تتنأب ..

" صارخة: ما هو طبعاً لازم نتخانق كل يوم.. وأخرتها هتطلقني..
عشان تصدقني ان مامتك كاتبه لنا يا حسام ."

لملمت بقايا الصباح من باذنجان مظل وفتافيت خبز على صينية
الشاي .. فى ارتطام معدنى ألقى بها إلى جانب حوض المطبخ..
أسرع صرصور هابطاً من على ظهر السخان صدئ الجوانب.. لاحقه
آخر شارعا شواربه الطويلة..

" الشيخ فرحات قال لماما على اسم تنتت.. والعمل كان مدفون تحت
شجرة فى بنها.. أنا عارفه انها ماكانش لها مزاج لجوازتنا دى .."

- على فكره ياماما .. علياء مريحانى .. ومش هطلقها
- طلاق إيه ياابنى بعد الشر؟
- أنا مش هوضح أكثر من كده
- خصيمك النبى لتفهمنى يا حسام.. فيه إيه؟
- مش هتكلم .. وراجعى نفسك

جرس الباب المحترق منذ شهر يئز.. الترابيس الثلاثة تفتح فى تتابع
رخيم..

واريت " أم أيمن " الباب ورائها دون أن تغلقه وجلست إلى كرسى
الآنترية خلفه.. تهادت متناقلة صوب " عبد الباسط عبد الصمد "
وعادت بسرنجة بلاستيكية مغلقة وأمبول فيتامين " ب " الزيتى

الاحمرار.. خرفشت أم أيمن تفتح غلاف السرنجة و " طك " هشمت
بها رأس الأمبول و " زى زى " ارتشفت بها آخر نقطة من قعره..

أدارت لها ظهرها رافعة من الجلباب طرفه.. أحست مع البسمة
المتكررة بدعكة قطن سريعة تمننت لو أنها طالت قبل تلك اللسعة
الزيتية الحارقة..

" ماما.. أنا عاوز أتجوز علياء "

بينما أم أيمن تلتقط من يدها الخمسة جنيهاات تساءلت: أمال فين
الدلعدى الدكتور حسام.. لا شفته لا هو ولا عياله دخلوا لك بيت من
كام شهر؟

وهي تغلق الباب خلفها تمتت: الدنيا تلاهى يا أم أيمن.

لم تصارح أحدا.. حتى أختها الحاجة نوال.. حتى زينب جارة العمر
وحافظة أسرارها.. لو صدقها أحدهم.. الآخر سيشك.. ستلتقفها
الألسن.. كيف تثبت أو تتفى ما شواهدة فقط فى عالم الجن.. سينتهى
بها الأمر معزولة فى أقصى ركن بالدنيا بأنها "بتاعة أعمال" .. لو
خرج من عندها أحد الزائرين مزكوما فكيف تدفع عن نفسها؟ ..

التقطت القطة الغلاف البلاستيكي للسرنجة وتعالى خرفشتها حتى
الشجار..

" حاولى يا حبيبتي بعد ماترضعى حسام تطببى على ضهره كده لغاية
ما يقشط وبعدها نيميه على بطنه "

خرفش " عبد الباسط " وصوت موسيقى برنامج " إلى ربات البيوت "
يحاول إزاحته.. ضبطت المؤشر لتفض شجار الموجات المتداخلة..
عاود " عبد الباسط " العروج إلى الجنة يحمل منها ويلقى اليها فتلقف..
يعرج ويعود فتلقف..

رفعت سماعة التليفون الذي لم يرن منذ أسابيع.. تأكدت من سريان
الحرارة.. أعادته ثانية..

- أنا ماعدتش داخل لك بيت ولاحتى هتكلم فى التليفون دا تانى
لغاية ماالشيخ فرحات يقول لحماتى إنك بطلتى تروحي
الكنيسة.. وللمشايع..

- كنيسة إيه بس ومشايع إ.....؟

- تيت تيت تيت تيت

- انت جايب لحسام شوكولاته بجوز الهند؟.. مانت عارف انه
مايحبهاش الا باللون.

- حاضر.. هنزل أغيرها.. أصلك فاسداه.

- دا الواد الحيله.. ربنا يخليك ليه.

تمسح الظهر الزجاجى للبوفيه بفوظة مبلولة.. تنتبه إلى شرخ جديد يتفرع من تحت الورق اللاصق لأطراف الشرخ القديم.. ترفع بصرها إلى البرواز المعلق.. حسام على ذراع أبيه وقد التفت بجزعه وعلى صدر قميصه الأصفر بطوط يراقص زيزى..

المصورفى استوديو " الأهرامات " يرجوه أن يفك زم شفتيه.. وأن يضحك للصورة.. شوح حسام بيده: ماما قالت لى إن الضحك من غير سبب قلة أدب.. انفجر الجميع ضاحكا.. فمنح حسام للكاميرا تلك الضحكة الخفيفة ...

ارتعشت ابتسامتها وسلمتها إلى ضحكة قصيرة مبتورة.. شرعت القطة إليها بعينيها تلمعان.. أخرجت من درج البوفيه قطعة من شكولاتة الليمون.. مدتها إلى القطة.. التقطتها.. رفعت وجهها المستدير تموء بضحكة خفيفة..

إعادة التحقيق حول مقتل كليبر

كادت النار تخبو فى ركنها من المغارة..

بحكم أنه أصغر الثلاثة سنا أسرع سليمان الحلبي ناحية كومة من جذوع الأشجار.. كسر بعضها على ركبته.. ألقمها النار فاتقدت ثانية وعادت بألسنتها تطلق شرارات برتقالية تتابع مطاردة البرد والظلام...

كان عمر المختار فى ركنه من المغارة بأعوامه السبعين وقد تكلل ببياض طاقيته ولحيته وشاربه جالسا إلى كومة من السلاسل المعدنية.. يحكم بكلابة صدئة إغلاق حلقاتها.. فقد اتفق والمجاهدون على ربط سيقانهم بهذه السلاسل إلى بعضها.. وألا يتراجعوا شبرا واحدا فى مواجهة جنود "جرازيانى" ومصفحاتهم.. مقدرا وصولهم إلى الجبل الأخضر ظهيرة بعد الغد على أقصى تقدير...

عاد سليمان للجلوس مكانه يحرك داخل النار سيخا حديديا أوشكت مقدمته المفطحة على الاحمرار.. التفت ثانية إلى الضمادة المضمخة بالدم تغطي جرحا غائرا لخصوصة أسفل ركبة الشيخ "عز الدين القسام" مشمرا عنها قفطانة الأزهرى فى انتظار السيخ الملتهب وقد انشغل بعصى صغيرة فى يده ينكت بها فى الأرض طرقا وتقاطعات ومخابئ بين الجبال هارسا بين أسنانه أسماء عبوية...

ترك سليمان السيخ للنار وأخرج من طيات ملابسه خنجرا.. تابع سن وجهيه على طرف حجر صلد.. التفت إليه عمر المختار - تخطيطك جيد ياسليمان.. لكن ما سيتغير أنك ستنتسلل إلى كليبر فى حديقة منزله بالأوزبكية.. ستتتكر فى هيئة شحاذ.. فاذا ما مد كليبر يده شدته إلى خنجرك لتبقر بطنه ثلاثا.. أنا قرأت تاريخك جيدا يابنى.

دون أن يلتفت استمر فى السن - سأطعنه وسط جحافل عسكره.. هو أذل المصريين الأسبوع الماضى.. حرقهم فى غرف بيوتهم.. بعدها امتطى صهوة فرسه فى خيلاء من بولاق إلى باب اللوق.. كانت الطبول تدق له عاليا وهو ينظر للجميع من عل.

بيديه ووجهه ولحيته البيضاء عاد المختار إلى السلاسل المعدنية.. تراوده مع كل حلقة يغلقها وجوه لأطفال المجاهدين وأراملهم.. فى إصرار يستمر.. صليل السلاسل تتكوم وراء يده لها وقع قوى رهيب لايتناسب وسعاله المستمر...

منذ ساعة.. حاول الثلاثة تحديد أى جبل يحوي فى أحشاءه هذه المغارة الملتقى.. الجبل الأخضر؟ إحدى جبال يافا؟.. جبل المقطم؟.. فى النهاية طرحوا السؤال جانبا واستمر كل منهم يستعد لعملية الغد..

فجأة... ظهر لاهثا كشيخ متوسطا مدخل المغارة.. يرتدى بدلة برتقالية يتصدرها رقمه الرباعى كسجين.. قبل أن يبادر كل منهم بالنقاط سلاحه صاح مطمئنا - عراقى هارب.. سجن أبو غريب.

وهو يرتشف الشاي الأخضر من قعر إناء فخارى مكسور مرتكزا بظهره على احدى جدران المغارة يحكى كيف أن مجموعة من العراقيين هاجموا دورية الحراسة الأمريكية.. وكيف أنه استغل البلبلة وغافلهم هاربا من بين نقطتى حراسة على سور السجن.. وأنه أثناء عدوه فى الصحراء اجتاز فجوة بين اللحم والحقيقة ليتفاجأ بنفسه هنا.. على باب هذه المغارة..

وهم يتابعون حديثه كانت ملامح ثلاثهم تتغير.. تتيبس.. تنتفخ.. تختلط.. أقسم لهم أنها حقيقة.. نعم.. بلد عربى التهم بلدا عربيا آخر.. وأنها بلاد عربية تلك التى قدمت أراضيها لأحذية ومصفات دول أجنبية لتلتهم بلدا عربيا آخر..

انتبه عز الدين القسام إلى الألم أسفل الضمادة تحت ركبته فأسدل عليها أطراف قفطانه وهو يتساءل في وجل - وفلسطين؟

ضحك البرتقالى فى مرارة.. حادثهم عن كامب ديفيد.. ومدريد.. وشرم الشيخ.. والتطبيع.. تمزق سوريا وليبيا.. وكيف أن الجميع يتسلى بتقشير السودانى ومتابعة الذبح وهرس عظام الأطفال هناك حصريا على الفضائيات...

كان المختار شاردا.. بدأت الكلابة الصدئة فى يده تتخطى حلقات مفتوحة فى السلاسل.. تاركا أباءا أحياءا لأطفالهم..

بدأ عز الدين القسام فى محو أكثر الخطوط التى نكتها على الأرض بعناية رادا بكفه المفرودة يد سليمان بالشيخ الملتهب..

تمدد البرتقالى يستريح وعلى شفثيه تنسحب بقايا ابتسامة مريرة..

عاود سليمان مكانه جالسا راميا ببصره إلى النار.. لم يلقيها مزيدا من الخشب فهبطت على رمادها المتقد تأكله وقد هربت من السننها مطقطقة آخر دفقة من الشرر.. اجتاحت يمينه رعشة سقط لها الخنجر على جانبه فى صوت مكتوم وقد انطفاً بداخله ناحية كليبر ما كان مشتعلا...

صندوق

وإثقة بأنه سمعها وهي تتأديه.. لم يلتفت برأسه التي حلقوها له
"زيرو".. اختفى مع ذيل الطابور الأزرق داخل جوف الصندوق
المعدنى الضخم.. وهو يدفع آخرهم فى ظهره بكلتا يديه أحكم الشاويش
إغلاق الباب خلفهم.. فى فتحتى المزلاج الضخم ثبت قفلا ثقيلًا.. بصوته
الأجش أقام حاجزا آخر " أدخل جوه ياله منك له .."

أطلت على الشارع من ظلمة الصندوق وجوه تتقاطع على
ملامحها البعيدة شبكات السلك الحديدى للنوافذ الصغيرة.. دورتين حول
الصندوق تغالب بعينيها وهج الشمس وترفعهما بحثا عن وجهه.. بح
تكرارها لاسمه الممطوط حنجرتها.. الحناجر حولها ترمى هى الأخرى
بأسماء ممطوطة وأسئلة متسارعة تختلط مبتورة فى الاتجاهين عن
العيال وكيف يأكل ودواء السكر والضغط و " أمى صحتها عامله ايه ؟
" وأتعاب المحامين و " خللى بالك من نفسك انت بس يا أخويا .."

عندما رجوا الباب فى الفجر بكعوب البنادق أدركت أن الوقت قد حان.. وأن هروبه منذ سبعة أشهر من دفع أقساط قرض الصندوق الاجتماعى قد وضع له المخبرون نهاية.. كانت أكفهم الغليظة تأخذ بالمجامع المهتكة لفانلته الداخلية المطفأة البياض.. حاولت كثيرا ان تعيد بالكلور الى البياض بهائة فأكلها الكلور بين الكتفين ليتسع الفتق وهم يسحبونه منها ليمضى معهم فى صمت.. حتى الششب لم يستطع أن يلتقط الا فردة واحده بابهام قدمه اليسرى بينما انقلبت الفردة الأخرى على ظهرها فى استسلام..

تقافز البعض على الإطارات الضخمة.. تشبثوا بحواف الصندوق.. حشروا أطراف أصابعهم فى مربعات السلك الضيقة.. على درجات السلم الخلفى كان الشاويش البدين يتصبب عرقا .. يهش بعصا طويلة من يحاولون الاندفاع والصعود إلى النافذة الكبيرة.. فرادى من كان يسمح لهم.. ارتفعت علب السجائر الحمراء والبيضاء الملفوفة بسلوفان ينتظر الفض وساندويتشات الكبة الساخنة الملفوفة بإحكام ليلتقطها الشاويش من أعلى زحام الأذرع والرؤوس و يدسها فى جيبه الميرى الواسع...

أسرعت إلى كشك مجاور لسور المحكمة.. قذفها العجوز العصبى بالباقي حلوى ليمون رغم الفكاة المتناثرة تحت يده.. ضمتها إلى علبة السجائر المارلبورو وأخذت لذراعها الممتدة دورا..

احتدت فجأة الأصوات والحركات التدافعية بعد أن أوشك الضابط على الخروج من المحكمة لينصرف بهم.. أكد ذلك موتور السيارة الذى بدأ فى الدوران هادرا بتكتكة صدئة وسير مروحة يصرخ بسرسة تنبئ أنه سيتمزق فى أى لحظة.. مدت يدها بالمارلبورو والحلوى و " خد والنبي ربنا يخليهم لك ..التقطها الشاويش وهو يضرب بالعصا رأس عجوز حاول أن يستغل صعودها على السلم ليصعد خلفها ..

دست أنفها ولهاثها وقلبها بين قضبان النافذة..شبحه جالسا فى الظلام عند نهاية الدكة الخشبية آخذا وجهه بين كفيه.. " صبحى..ياصبحى ..ببطء التفت إليها للحظة ثم عاد بوجهه مطرقا..اجتاحها رغبة مفاجئة بأن لا يتكلم..لن تتحمل اهتزاز كتفيه بالبكاء وسط كل هؤلاء الرجال الزرق المتزاحمين داخل ظلمة الصندوق..أعاد وجهه إلى كفيه..أعطت ظهرها إلى قضبان النافذة..

حذرته يوم أن قرر بيع ماكينة التريكو التى وقع لهم عليها..حذرته رغم أنه لم يكن هناك سبيل آخر لإتمام زواجهما ورغم تأكيدات أنه سوف يدبر الأمر قبل الحين ..

لمحت الضابط خارجا من باب المحكمة..تحت إبطه دوسيتها ورقيا كالحا..وخلفه عسكري ضخم يفض بعصاه الزحام..زمرت السيارة وهى تبدأ فى التحرك تهش الواقفين..أسرعت بنزول السلم..قفزت

إلى الأسفلت المتحرك تحت قدميها مستندة بكلتا يديها على الهواء
متفادية الانكباب على الوجه..بدأت السيارة فى الابتعاد..استدارت
تتابعها وهى تتحسس بطنها بكفيها محاولة حساب الأشهر المتبقية .

جلجل

قلبي سيتوقف.. آآه.. لفات ثلاث جريتها حول القرية وجميعهم
يهزلون خلفي.. بجلابيبهم الخفاقة يصيحون على بالتوقف.. يقتربون
بالعصى يلوحون بها في الهواء.. بالحبال يرمونني.. رفسة قوية سددها
لبطن الوحيد الذى أوشك أن يحيط بذراعيه المفتولتين عنقى ليطيير
مستقرا على ظهره في منتصف التربة الموحلة..

شجرة جميز ظليلة.. لأسترح خلفها قليلا وأسترد للقلب نبضاته.. رائح
.. فدانين من الذرة أيضا يحجبان عن كل العيون.. لأبرك هنا خلف
الجذع الضخمة.. ياه.. رغبة عارمة تجتاحني لأن أملاً هذا الفضاء
الواسع.. والمدى الأخضر.. بالنهيق.. أن أسب حسن الكلاف حتى سابع
جد..

عفوا.. سأقطع حديثي للحظة.. فقط قضمتين من كوز الذرة هذا
..خرووش..خرووش..خرووشش..إحم..

المصيبة بدأت منذ تلك الليلة.. عاد حسن الكلاف من المدينة وعلى
ذراعه طوى بعناية بنطلونا من جينز وقميصا مقلما بالأصفر اشتراهما
مستعملين من هناك.. فى الصباح التالى كان يرتديهما وقد صفف شعره
بغازلين يقف فى وسط الزريبة يصيح بصبيه "عوض" أن يرمى أمامى
بحزمة برسيم وأمام الجمل جلجل بمقطف من التبن..

خرووش..خرووش..إحم..

المهم..باعد جلجل بين قائميه وأطلق - على عادته - تيار بوله..تأفف
حسن الكلاف - وعلى غير عادته - سحب فرع شجرة رفيع وانهاه بها
على عجيذة جلجل مخلفا على جلده بثورا دامية .. ظل جلجل حتى بعد
انصراف حسن الكلاف يتململ ذاهلا.. متألما.. متقافزا بقوائمه فى
مكانه..

ليلتها..وبعد أن انغلق علينا باب الزريبة..لمحت دمعة ضخمة تسقط
من شاهق لتتغرس فى الأرض السبخة..رفعت رأسى نافضا الهواء
بمنخارى..كانت عينا جلجل مبللتين تماما..رغم إلحاحى بالسؤال ظل
صامتا..فقط رعشة تتسلقه حتى سنامه..خفيضا نهقت مواسيا "لعل نثارا
من البول أصاب وجه حسن الكلاف وهذا ما أغضبه"..حمحم

جلجل"لكنها المرة الأولى..ثم أن العصا كان لها طعما آخر غير طعم
التأديب..طعما غريبا ومرعبا"...

خروش خروش.. امم.. لا أحد قادم على طول فداني الذرة.. مخبأ
رائع..

فى الصباح.. تابعنا حسن الكلاف وهو يرص فوق الكارو تلالا من
مجلدات وراثها عن جده.. وابور جاز.. سجادة صلاة كان أبوه قد
أحضرها من الحجاز.. قبل أن يرفع فرع الشجرة الذى لم يعد يفارق
يميناه تقهقرت بظهرى بين ذراعى الكارو ليحكم حولى لف سيورها
الجلدية.. فى المساء كنت عائدا بالكارو فارغة وقد توسطها حسن
الكلاف مقرفصا يضم إلى صدره فى فرحة وحرص شديدتين تليفزيونا
صغيرا..

ليلتها لم يغمض لجلجل جفن.. استمر لأكثر من نصف ساعة يمزغ
سأهما حفنة من تبين لم تكن لتستغرق من قبل بين فكيه أقل من
الدقيقة..

المهم..من كوة فى جدار الزريبة تنأهى إلينا صراخ زوجة حسن الكلاف
بأنه أنانى..فكر فى تليفزيون يمتع فيه عينيه بحسناوات الأفلام
والإعلانات دون أن يخطر بباله أن يشتري غسالة صغيرة ترجمها من

قطمة الوسط عند الغسيل فى الطشت.. بعد ساعة كانت قبلاتهما تطرق
وتأكيدا لاهثا منه بتحقيق وعده بالغسالة خلال أسبوع..

خرووش.. خرووش.. آآآ.. أتركونى أنهق حتى آخر هذا المدى
الأخضر .. فقط سيسمعون.. وسيثبون للإمساك بى..

المهم.. استيقظنا ذات فجر على توسلات عوض الباكىة لحسن الكلاف
أن يبقية فى خدمته ولو بنصف أجر.. ولو باللقمة والمنامة.. كان
عوض جاثيا على أرض الزريبة بينما حسن الكلاف يدفع الحذاء فى
صدره متخلصا من القبلاط الهيستيرية والأصابع المتشبثة.. يصيح
مكررا سبه بأمه أنه لم يعد فى حاجة إلى خدماته.. فالأمر قد
انتهى.. يومان ويحضر التاجر من المدينة لشراء جلجل.. دبدب عوض
بقدميه الحافيتين فى الأرض صارخا بأن أولاده سيموتون جوعا وأنه لن
يترك عمله هنا.. بعد دقائق كان يمسح مخاطه ودموعه بطرف جلبابه
المهترئ بينما يعاود حسن الكلاف ركله فى مؤخرته ولطمه على قفاه
المكشوف حتى قذف به خارج باب الدار...

ليلتها.. رفض جلجل دخول الدار.. اضطر حسن الكلاف أن
يربط مخظمته فى احدى قضبان النافذة وتركها مفتوحة.. تابعت رأس
جلجل ضخمة تملأ النافذة وقد برك على ركبتيه فى الشارع.. ظل طوال
الليل البارد على صمته ضاربا بعينيه الضخمتين بين النجوم.. فقط بين

ساعة وأخرى يطلق برغائه صيحة قصيرة عالية يرتج لها الشارع ثم يعود إلى صمته ..

خرووش.. الذباب هنا سمج.. أهش بذيلي فيبتعد ثم يعاود الهبوط على ظهرى بلسعات.. آه.. كثير من السبخ هنا.. المهم لا أحد ينتبه الى مخبأى هذا.. خرووش ش.

المهم..أصاب حسن الكلاف جذع شديد لامتناع جلجل عن طعامه يومين متتالين ونحوه..كلما مد ذراعيه ببعض الكلا نأى جلجل بشدقيه إلى أعلى..ابتسم حسن الكلاف وهو يقول "يا عبيط..بيحك لرجل فى المدينة لمصلحتك..سيجيئك طعامك معلبا فى صفائح ضخمة عليها كلمات أجنبية..وصورة لناقاة ترتدى مايوها أصفر..ستقف فى حظيرة نظيفة..جدرانها من القيشانى"..بعد انصرافه نهقت لجلجل حاسدا وأنا أغمز بعينى ..غمغم"بعد ساعة واحدة من وصولى المدينة سيسلخوننى ويلصق الجزار بفخذى المعلقة على خطافه سعر الكيلو الجملى"..

آه يا جلجل.. خرووش..

المهم..كان باب الزريبة مفتوحا عن آخره حينما لمحنا حسن الكلاف فى جلباب نظيف ومنشى .. وزوجته ترفل فى قميص بيتى مفتوح الصدر يرحبان فى بشاشة زائدة برجل يرتدى بنطلونا وقميصا أخضر مكوى ومنشى ..بعد دقائق..سمعنا الرجل وهو يثبت مبتسما عينيه فى

عيني زوجة حسن الكلاف يشترط إلى جانب جلجل أن يشتري أمتارا من أرض الزريبة هنا حيلة لجمال قد يشتريها في المستقبل فيربطها عليها حتى تسمن .. لاحظت بأن عيني الرجل كانتا تمسحان ما بين ثدييها فتتسع ابتسامتها .. فرك حسن ما بين الإبهام والسبابة .. دفع الرجل بحزمتين من النقود تحت حساب .. اقترب من جلجل يتفحصه .. جس قوائمه .. بطنه .. وحينما أراد رفع ذيله القصير فاجئه جلجل برفسة هائلة أطاحت به على ظهره خارج باب الزريبة .. انتفض الرجل جالسا في ذهول .. فتح فمه وقد تدلى ضرس كامل من فكه العلوى ..

الذرة أصابني بانتفاخ .. بطنى ستنفجر .. لا مؤاخذه .. سأطلق بعضا من الرر .. يي .. يي .. يي .. إبيبيه .. احم .. نعم .. بدأت بطنى في الارتياح .. خروش .. خروش ..

هرع حسن إلى الرجل بكوب ماء وملح .. وهو يخلص بأصابعه الضرس العالق من فكه تميمض مبقبقا بصراخ "هنا يا حسن .. الآن .. هنا" .. قال حسن "أمرك" ..

هرول ينادى من الشارع رجلين عاوناه على شد جلجل من الزريبة .. بآخر عزمها شدا مخمته .. أفسح بين قوائمه الأربعة يثبتها في مكانه بإصرار وهو يخفض من رقبتة فيسحبها ناحيته .. انضم إليهما حسن يشده .. بعد أكثر من ساعة لم يجد جلجل بدا .. تحرك

يتبعهم فى تتأقل وهو يرغى غاضبا ..كانت عيناها محمرتان تماما وهو يرمق بجحوظهما الرجل فقفز مبتعدا عن طريقه..

أوقفاه فى باحة الدار ..رمى إليهما حسن بحبلين لفا بهما قوائمه..حاول جلجل التقافز معترضا فتعثر بالحبال نصف عشرة لكنه سرعان ما تماسك واقفا..استمر يرح الدار برغاء مخيف..أشار حسن بأصابعه إشارة مفاجئة.. برزت عضلات الأذرع الأربعة وهم يخطفون الحبلين ناحيتهما فى سرعة..ارتطم جلجل بالأرض عنيفا فاهتزت الدار وقفزت زوجة حسن مبتعدة صارخة فى أنثوية مصطنعة ..قفز أحدهما يشبك كفيه تحت فك جلجل..شد الرأس الضخمة ناحيته بقوة..جحظت العينان ترمقان يترقب اللحظة المحتومة ..برزت أوتار الرقبة طويلة وغليظة..خطف حسن الكلاف مع تكبيرة سحبة بالسكين الضخم وابتعد فى سرعة متفاديا طرطشة الدم ..ضرب الدم تيارا رفيعا يدور فوق التراب متجمعا ليفور فى دوامة تنمو سريعا..

آه يا صديق العمر .. خروش ..

استمر جلجل يضرب الأرض بكامل جسده..سكن للحظات يلهث ويرتعش ويشخص ببصره ناحيتى فأطأطأ برأسى داخل مقطف التبن أنفض الهواء بأنفى مكررا ..عاود حسن الكلاف الغوص بالسكين ذهابا وإيابا فى الرقبة..انفجر الدم ضاربا وجهه وقميص الرجل وتراب باحة الدار ..اشتدت ضربات جلجل للهواء بقوائمه الطويلة كأنه يضرب

بأنفاسه الأخيرة عدوا يخاف أن يفوته الانتقام منه.. انقطع أحد
الحبلين.. كشف شذقيه عن فكيه وهو يتغرغر برغائه.. تضاعفت أسنانه
الضخمة فتعالى صريرها.. بصق الرجل فى غضب وهو يمسح بكفه
على صدر قميصه ...

قبل أن يزيحوا جلجل إلى جانب الباحة كنت قد اتخذت القرار.. بكل
قوتى ضربت الأرض بحوافرى وانطلقت.. بعد ساعات.. فى دورتى
الثانية حول القرية هاربا.. وبينما كنت أقطع زحام السوق.. لمحت جلجل
وقد علق مقلوبا بين خطاطيف الجزار تتدلى من فخذة قطعة من كرتون
بسعر الكيلو الجملى..

ياااه.. الليل أوشك أن يلف غيط الذرة.. قلبى يطمئن أكثر
إلى أنهم لن يعثروا على.. الليلة على الأقل..

خرووش.. خرووش.. خرووش...

أبي

جرح على يمين الجبهة

عضت الكلابشات الحديدية على معصمه.. لعن الحر والعرق.. وزحام المحطة.. وزعيق القطارات.. واليوم الذي قرر فيه الخروج من بلدته للتطوع فى الميرى..

التفت محتدا إلى العجوز الذى وقع باستلامه منذ الصباح فى سيركى الترحيلات.. لم يجد بصدرة القدرة على الصياح فى وجهه بأن يسرع أكثر كى يلحقا القطار.. كان العجوز بالفعل يضغط على كل مفاصله الخربة ليطاوع بخطواته الحافية المنكفئة داخل جلبابه مكشوف الصدر الرخيص جر الحديد الذى يكاد يهرس عظام معصمه بعروقه الزرقاء النافرة..

تعود كل صباح عيون الشارع تتابع كلابشات الترحيل تصلصل لامعة بينه وبين المسحوب ورائه و الذى غالبا ما يحاول جاهدا محاذاته

بالخطوة الواسعة كى يخفى بينهما الكلابشات عن الأعين قدر
المستطاع..

هذا الصباح.. كانت مصمصات شفقة تلاحقهما وتطلق النمل على
أعصابه.. دفع بباقي ساندويتش الطعمية الباردة تنضح بالزيت بين
فكيه..

قبل أيام ثلاثة.. وهو يوقع على تسليم نبطشيته الليلية في
القسم تابعه قادمًا يتأرجح بين أيديهم برأسه الحليقة وقد نبتت على
جلدها شعيرات بيضاء متفرقة.. يتلقى قفاه المدلى أكف خمسة من
بائعى الخضار وهم يتبادلون سبابه لأمه ورجولته حتى ألقوا به أما البك
الضابط.. أقسم أحدهم أنه حاول الجرى بقفص البلح الأسود.. تلعثم
الآخر ثم أكد لأجل اليمين وعينيه اللتان سيأكلهما الدود أنه رآه يتلفت
حوله قبل أن يكبش من القفص كبشتين خبأهما في حجر جلبابه محاولاً
التسلل بعدها داخل زحام السوق ...

انتبه على بائع الجرائد يصيح بعناوين الحوادث.. انتحى بالعجوز جانب
الرصيف المزدهم.. جلس إلى أريكة أسمنتية.. ظل العجوز واقفاً.. خافض
الرأس الحليق و ذبابة ضخمة تدور على أرضيته.. تطير وتعاود الحط
ثانية بين زغبها.. تدوس الأحذية المسرعة نظراته الملتصقة ببلاطات
الرصيف.. تتحرك شفثاه بتمنمات لم يسمع منها..

كانت شفتا أبيه فى البلد تتحركان بمثلها عند الفجر.. ذات فجر استيقظ وأمه وأخوته على زحام يهدد الباب.. دفعت الأيدى الغاضبة فجأة بأبيهم لينكفى على وجهه عند أقدامهم وسط باحة الدار المترية.. تحلقوا حوله وأحدهم يذكر البقية بأن الله ستار.. زعق آخر بالطلاق والخروج من الملة بأنها المرة الأخيرة التى سيرحمونه فيها.. ولو عاود ثانية سرقة الخضار من الغيطان فسوف يسحبونه عاريا مكبل اليدين إلى حمار يلفون به حوارى البلد.. كان أبوه مازال ملقيا على أرض الدار.. يلهث فيتحرك الغبار مندفعا بعيد عن فمه المفتوح تسيل منه ريانة ممتزجة بدم.. وقد انحسر الجلباب عن ساقيه النحيفتين المرتعشتين.. بعد ان صفقوا الباب خلفهم منصرفين أسرعت أمهم بدفس البن فى جرح غائر كان ينزف على يمين جبهته.. ظل يتأوه وهو يعتدل فى جلسته و يخرج لهم من سيالة جلبابه بعضا من حبات الخيار والطماطم ...

زعق القطار قادما.. أسرع بالنهوض.. سحبه خلفه.. توقف باب القطار أمامهما بصريير الفرامل.. فجأة.. دق قلبه بعنف.. فبينما هو يدفعه أمامه ليخترق به زحام الباب لمح على يمين جبهته بقايا بن تملأ جرح غائر.

غرفة

أبلغهم رابعنا في الغرفة أنه سمع نهتهى تحت الغطاء قبل أن ننام ليلة
الامس..

بعد إلحاح كاشفتهم بخوفى على أبى وقد تمكن السرطان من كبده فى
مصر.. وأنى كنت هناك أكتب كثيرا.. وبأن هذه الغرفة التى نسكنها
أربعة بألفى ريال لا تكفى حتى للتنفس..

ربت العامل فى المكتب المجاور للسكن على كتفى وأكد أن كفيله "
فيصل القحطانى "لا يأت أبدا بعد الحادية عشر مساء.. وأنى على
مكتبه الضخم لن يزعجنى إلا تليفونا فى الواحدة صباحا من زوجة "
فيصل "تسأل عن سر عدم عودته إلى الفيلا حتى الساعة وعن سر
غلقه للموبايل.. وأنه على فقط ان أجيبها بظروف مقنعة.. وأن المكتب
مكيف.. واسع..

نسى أن يخبرنى عن هذا الكرسي الدوار المغدق الحنو على فقرات
الظهر المجهدة..

القصة فى رأسى مشوشة تماما.. رتبت الأوراق أمامى.. حاولت
استحضارها بالسجائر.. افتقدت كوب شاي.. وجه كفىلى غاضبا تحت
الظلال الحمراء لغترته يسألنى فى الصباح بصوت أجش عن سر
تأخرى عن فتح المطعم الى السادسة (ليش؟.. هه؟.. ليش؟.. ما
تراعى حلال الناس؟).. من الفتحة اليمنى لمنخاره الواسع انسال وجه
رئيس تحرير المجلة الأدبية المتخصصة -التي أرسلها في مصر
بقصى دون جدوى- تداعبه فتاه فى جينز "اسكنى" تجلس على
مسند مقعده وهى تلقمه إصبع الموز (كمان ده.. عشان خاطر
سوزى).. كان اسمها تحت قصة نشرت فى آخر الاسبوع يعتليها
صورتها بتسريحة شعر هادئة ونظارة كاتبة متمرسة.. بطرف الغترة
يمسح الكفيل أنفه لتغرق سوزى ورئيس التحرير داخل مخاطه..

القلم يعرض وجه الورق بشخبطات وخطوط سميكة تتخلل دوائر
بأوضاع مختلفة..

لا أستطيع أن أدفع عن رأسى طريق الصباح الأسفلتى وقد انشق فجأة
عن النيل بالرغم من ذلك لم يهدئ السائق الهنذى الاسمر من سرعة
الميكروباص وهو ينطلق به ناحية المطعم حتى أنه اصطدم بفلوكة

تتهادى فى النيل بأطفال يرتدون ملابساً جديدة وينفخون بالونات العيد..

التقطت المفاتيح من فوق زجاج المكتب.. أغلقت مصابيح النيون تباعا..

تتاهى إلى أذنى رنين التليفون الرابض على المكتب..

سككت لسان الباب بالمفتاح مرتين..

رجعت الى الغرفة الممتلئة بشخير الثلاثة لأنام.

قفّة

حلقات الغبار تفر من تحت ضربات الفؤوس.. عينا أبي جاحظتان
أكثر مما عهدتهما..

- حاسب والنبي منك له بدل ما الفاس تلطش عظمة واحد منهم كده
ولا كده.

أكد له ثلاثتهم بأنهم أكثر منه حرصا..بدأوا يجتروا الذكريات مع -
الله يرحمهم - وهم يتناوبون الربط بالنسب بين كل عظمة مترية
يكشفون عنها وبين أعمامهم وأجدادهم .. اليومين الفائتين بتتاها هنا
فى البلدة مع جدتى لنكمل بناء المدفن الجديد..بيدها المرتعشة سحبت
من تحت وسادتها المهترئة قطعتين من حلوى الليمون التى دأبت على
دسها فى كف كل طفل يدخل حجرتها..ابتسمت متمنعا..نبهتها أنى

سأستلم وظيفتي كمدرس رياضيات إعدادي الأسبوع القادم..أصرت على دسها فى يدى - هتكبر عليا ياواد ؟ .

حلفتى بكل غال أن أترفق مع أبى فى نقل عظام جدي السباعى.. وأن أفصلها فى المدفن الجديد بعيدا عن عظام الآخرين...

برص ضخم أطل فجأة منزعجا من تحت ضربات الفؤوس..حرك رأسه يمينا ويسارا فتلاقت عينانا..فر من تحت ضربة فأس فاجأته فطالت ذيله لينفصل مبتورا يتلوى..زحف ببقيته ناحيتى بطيئا..توقف بجوار حذائى يغلق جفنيه ويفتحهما..أسرع يتلوى بالهرب حينما قذف لى أبى بالقفة الضخمة منبها -هتناولك واحده بواحد..خلى بالك وانت بترص.

ارتعدت وأنا أتسلم عظمة ساق طويلة متربة..نفخت عنها وأكملت مسح سطحها المخشن بالبثور و النتؤات بيدي الأخرى..كانت الشورية ساخنة على مائدة أم عابدة وقد استقرت في قعرها شربة لسان العصفور بينما استندت على جوانب الطاسة قطعة من عظام شبيهة مثقلة بلحم .. مصمص أحدهم بشفتيه وهو ينظر ناحيتى -عمك شوقى.. الله يرحمه كان طول الجزورينا دى.. وقع بحمارته وهو مروح بالليل فى بير الساقية الشرقية.

أقسم أبى محتدا بأن هذه الساق لا تمت لأخيه شوقى بصلة..بدليل أن ساقه كسرت ليلتها بينما هذه الساق خالية حتى من شرخ .. لكنها لزوج خالته الشيخ بيومى - البلهارسيا كلت كبده وهو ياعين أمه ماعداش الثلاثين.. كان جدع.

أمسك أبى بجانبه الأيمن..تتهد مكملا -البلهارسيا..ملعونة فى كل كتاب.

ناولنى أحدهم جمجمة سقط عنها فكها السفلى مع عظمة ساق قصيرة..جمجمة أخرى تخلف على ماتبقى فيها من أسنان سواد تدخين شيشة سنوات طوال..ارتفعت بين نراعى كومة من عظام مختلطة..سقطت واحدة داخل القفة فارتطمت ببقية العظام وهشمت طرفا من احداها..زقق أبى ملتاعا - فتح .. حرام عليك.

تابعت فى حذر رص عائلتى.. رفعوا فؤوسهم لاهئين يؤكدون بأنه لم تتبق فى التراب عظمة واحدة..ألح أبى فعاودوا النباش من جديد..تداخل على سطح القفة خليطا رماديا ..زوايا جمجمة مع ضلع من قفص صدرى..عظام ساعد تخرج من تحت عظام ساق لتمر فى فتحة حوض ضخم متآكل الجوانب..

وقف أبى يشير للعمال ناحية المدفن الجديد..رفعوا القفة بين أيديهم يتبعون اشارته وهم يحملون قفة العائلة و لم يتبق عن حافتها إلا

بمقدار عظام شخص..فجأة لمحت ظل أبي مكسورا على وجه مدفن
مجاور..شددت على ذراعه..شددت أكثر..على الأرض كنت أتابع ظل
كفه ضخما يربت به على كتفى فى رفق .

كف أبى

ما زلن خالاتى وعماتى يحطن أمدى بطبطنات على الكتف
والظهر فى غرفة الصالون المواربة الباب.. ينهنهن.. ملتاعة تصيح
عليه احداهن فجأة مذيلة اسمه ب " حبيبي " ممطوطة..

عائد لتوى بالبطانية الفارغة فى يدى..مضمخة بالمسك الذى أغرق
به المغسل جسد أبى ..

- خلاص ياابنى..دفنتوه ؟

أكوام من الحجارة تداعت وتراصت فى الحلقوم - مثلما تراصت على
فتحة قبره منذ ساعة - إلى الدرجة التى سدت بها أى فراغ تتسلل منه
إجابة لسؤال أمدى.. عيناها متورمتان..محمرتان..مهزومتان..كأن ملاك
الموت قد صفعها لتبتعد عن طريقه وهو داخل من باب البيت متجها
فى حزم إلى فراش أبى.. صدر أبى.. نبض أبى ...

فتحت باب غرفته.. بلاطها مازال مبللا بالماء الممزوج برائحته
..خالية إلا من جردلين كنا منذ ساعة نتناوب ملئهما ومناولتهما
للمغسل.. نظارة جرائد الصباح بعدساتها السميقة وإطارها المشروخ من
أعلى وقد امتلأ الشرخ بصمغ قوى فائض ملقاة فوق دولاب
التليفزيون..سلسلة مفاتيحه التي لم يكن لى أو لأى من أخوتى أن
يلمسها وإلا تعرض لصفعة ثقيلة..أى منا له الآن أن يلتقطها من تحت
هذا الكرسي المقلوب.. أن يفتح بها كل المغلق فى البيت ويبعثر كل
الأسرار الصغيرة والتي ينحصر معظمها في ديون للأقارب و قروض
بضمان المعاش .. أن يلقى بها من البلكونة..وأن يسمعها ترن على
أسفلت الشارع .. مط الشيخ سعد نهاية آذان العصر -من مكبر
المسجد المجاور - ومازالت سجادة صلاته مطوية على ظهر الكنبه لم
تمتد إليها يد مبلولة بالوضوء لتقردها.. ولا تلاحقت من أعماق راجية
دعوات بالستر..

أى منا له الآن أن يسهر مع أصحابه إلى وش الصباح..وأن لا
يسمعها على باب الشقة وهو موارد غير مفتوح..يسمعها محملة
بأكوام غضب وبقايا رعد " كنت فين يا بيه ؟ " .. وأن لا تجحظ عين
أى منا وهى تتابع فى خوف وترقب كفه الكبيرة إن كانت ستهوى على
الصدغ..أو تزغد فى الكتف..أو تشير ناحية غرفة نومنا مصحوبة ب "
الصباح رياح " ...

منذ ساعة كانت كفه الكبيرة مفرودة تماما فى هذه البقعة من الفراغ بعد أن تهاوت مع ذراعه العارياة من فوق خشبة الغسل..كانت قد تداعت فجأة بينما المغسل منهمكا فى إغلاق العينين الممتلئتين برغوى الصابون .. تسائلت كيف أن أبى لم يجفل بجفونه المفتوحة على مصراعها لحرقان كل هذا الصابون..

الجميع يتعاون فى إفراغ أكياس القطن..يلفون به وجهه حتى غابت ملامحه مع شفتاه وقد تمكن منهما الازرقاق ..يسدون فتحات جسده.. عيناى متسمرتان على كفه المدلاة فى الفراغ وأنا أتمتم بأية الكرسي...

صوت الجردل الفارغ يقفز فجأة داخل الجردل الآخر مع رنة اليد المعدنية على حافته.. قالت أمى "المغسل عايز الحساب".. مضت ناحية الحمام والجردلان فى يدها يتأرجحان فى انكسار ...

كفه الكبيرة ممدودة إلى مستر الإنجليزي بعد انخفاض درجاتى.. ممدودة إلى الطبيب فى بداية لدور احتقان اللوز..ممدودة إلى عربة البطيخ تلتقط من الكومة حبة ضخمة..تخبط على جدرانها كخبير ونحن نهيص فى البلكونة ننتظر صعوده بها..

" المغسل لسه مستنى " ..

كفى ممدودة فى ركن الصالون إلى عمى ابتهاج فتحلف برحمة الغالى أن - بكها - لايحوى سوى عشرين جنيها.. لكنها غدا ستصرف..يبس

يعتلى ظهر طابور من النمل يزحف به إلى أناملى.. إلى كفى.. يغزو ذراعى.. تأوهت ممسكا به.. هرعن يتفحصنه.. أكدت زوجة خالى سعيد "بتحصل كثير فى الظروف دى.. يومين وهتك.. فتكم بالخير" ...

فى المساء التالى كانت أمى تتلفت باحثة عن حسام "أخوك ماصدق.. كلها اسبوعين وماعدناش نشوفه إلا وش الفجر" .. هاتفه المحمول يردد لى رسالة مسجلة بأنه قد يكون مغلقا أو خارج الخدمة.. اتصلت بمن أعرفهم من شلته.. وقفت فى الشرفة مستندا على سورها الرطب مرسلا عيناي إلى نهاية الشارع.. اهتزت بداخلى زلازل انفجرت عنها براكين.. دفعتها إلى ثنايا عبارة واحدة سأهدر بها لحسام.. لكبيرهم قبل صغيرهم.. سأهدر بها وباب الشقة موارد غير مفتوح فاردا كفى لتبدو كبيرة "كنت فين يا بيه؟" .

زيارة

بيد مرتعشة.. أودعت جدتى طاقم أسنانها بين ثنايات الفراش.. ابتهالات ما قبل صلاة الجمعة تنتهى مضمخة بتضرع وندم من بين خرفشات الميكروفون الصدى للمسجد المجاور.. فى بطء شدت الغطاء فوق ركبتيها المتبيستين.. متسائلة شرخت الصمت فجأة "أبوك بيجى لك فى المنام؟" .. أومئ برأسى موافقا.. "مبسوط ولا زعلان؟" والنبي تسلم لى عليه ياضنايا " بطرف طرحتها السوداء تهش الذباب عن نصف خيارة إلى جانبها.. "من يوم مماته مازارنيش ولا مرة .." تلقى بنصف الخيارة إلى قط دخل لتوه وانزوى يهرش فى ركن المندرة.. تسرح بعينيها المغبشتين بعيدا.. "يكون ما بيزرنيش علشان ليلتها صوت ولطمت كتير.. مش ضنايا ياخلاق؟" .. ابنى ياناس .." .. أستمر على صمتى.. فى حزن تردد "أنا غلطانة ياضنايا.. غلطانة.."

بس أعمل إيه" .. يلفنا الصمت .. يلفنا تماما .. تتوالى طقطقات مسبحتها
الطويلة.

ركلة

ابتسمت سناء فجأة.. توقفت عن سحب خيط الصوف بين إبرتي
التريكو.. أنزلت عن فمي كوب الشاي ورفعت حاجبي متسائلا..
ازدادت ابتسامتها اتساعا وهي تتحسس بطنها - ركلني ابنك الآن.. أنا
على يقين.. هي المرة الثانية هذا المساء.. أشعر بقدمه الصغيرة للغاية
هنا.. لا.. هنا.. سيملاً البيت شقاوة..

عادت مبتسمة تسحب من البكرة الحمراء خيطا.. بدأت الابرتان في
الدوران به على صدر البلوفر الأصفر تكمل به ضحكة ميكي ماوس..
انهارت داخل صدري فجأة كل الكلمات التي كنت قد أعدتها منذ
الظهيرة للرد غدا على إهانة المدير لي..

عسلية

- امسك فى إيدى جامد يامنعم علشان ماتتوهش فى المولد ده.

وسط الزحام وتراب الساحة المتطاير قبض منعم بأنامله الصغيرة على اصبعين من كف أبيه الضخمة.. بكفه الأخرى أزاح الطرطور الورقى الأحمر اللامع إلى الخلف.. فخور بأن عم فتحى الترزى قد فصل له من نفس " التوب " جلبابه وجلباب أبيه بخطوطهما الطولية الزرقاء.. وأن فى قدميه نفس البلغة البيضاء التى فى قدمى أبيه باختلاف المقاس اختلافا مضحكا وكأنها ابنتها..

شمس ظهيرة الجمعة تملأ الساحة المكتظة بالقرى المجاورة.. رائحة القش والدريس اليابس المتطاير تحت الأقدام تملأ خياشيمه.. المحفل يمر متهاديا على ظهر جمل معتليا كل الرؤوس.. الطبل البلدى الضخم يتدلى بحبل على صدر جلباب.. طوم طوم..

طام.. طوم طوم.. طام.. تمتزج معه الصاجات الكبيرة بطنة
نسوية ذات صدى تن..تن..تن.. ومزمار بلدى فى شقاوة يتقافز
مزغردا بين الطوم والتن لتتراقص الجلابيب وأرجل حمار يمر
أمامهما فيسقط راكبه ليضحك أبوه عاليا ويضحك منعم..

أمام أقفاص زجاجية تعلق رأس منعم الصغيرة مستندة على قوائم
من خوص تخيره كف أبيه بين أقراص المحوجة ونبوت الغفير
والعسلية الملفوفة فى أوراق ملونة.. ثلاث مليمات أخرجها أبيه من
سيالة جلبابه وهو يناوله العسلية الكبيرة وقد اختارها منعم فى ورقة
حمراء.. خرفشت وهو يفضها ليطالعها بكل حواسه فى لونها
الذهبي وكسر الفول السودانى يبرز من طرفيها يعده بمزيد من
المتعة.. عربة كارو تتبع المحفل على ظهرها غوازي ثلاث
مكشوفات الصدر وجوانب الأفخاذ.. تلمع على بذلاتهن المقصبة
بالذهب قروش الترتر.. يتابعهن وهو يقضم من العسلية لتتفتت بين
أضراسه.. العسل يسيل على لسانه.. يدفع به إلى سقف حلقة..
طعم العسل يملأ الدنيا.. كف أبيه تربت على كتفه.. طوم طوم..
تن.. طام.. تن ...

سعل المهندس منعم فى فراشه.. بيد مرتعشة تتناول كوب الماء من
على سطح الكوميدينو المجاور فسقطت نظارته السميقة إلى
الأرض.. انحنى بصعوبة يلتقطها وهو ينادى - سمييه.. سمييه.

تركت سمية ابنها أحمد على السفرة وهي تطلب منه أن يترك
الآيفون جانبا وأن يحفظ قانون أوم جيدا..

- نعم يا بابا.

- ناوليني يابنتى عسلية من الكيس اللي فى الدولار.

- عسلية ايه بس.. السكر عالى عند حضرتك.

- يابنتى ماتتعبنيش واسمعى الكلام.. ناوليني واحدة.

خرفشت وهو يفضها.. طالعه حشو كسر الفول السودانى.. يقضم

فيسيل العسل على لسانه.. كف أبيه تربت على كتفه.. طوم

طوم.. تن.. طام.. تن.

صدى

انتبه للسعة رشفة الشاي بين شفثيه.. زمهما رافعا وجهه محاولا سحب الهواء البارد.. اصطدمت عيناه بعيني أبيه داخل برواز شد على جانبه العلوى شريط أسود.. على موضة السبعينات زحفت السوالف متمددة بقاعدة مثلث تحت شحمة الأذن.. شعيرات بيضاء تطل فى تردد من بين السواد المصفف إلى الخلف.. التفت إلى مرآة " النيش " بجانبه تعكس غزوا ناجحا لشعره الأبيض.. إحساس ما تشظي متناثرا بين جنباته بأنه قد صار أكبر من أبيه.. فى الحلاقة القادمة سيفرد كفه أمام أنبوية الصباغة السريعة بالأسود رادا بها الأسطى فتحى الحلاق.. مرت من الشاي بين شفثيه رشفة أخرى لم ينتبه للسعتها.. تناهى فى أذنيه من بعيد أصوات أبواب جرارة تتغلق متتابعة فى سرعة.. يعقبها صرير صدئ لباب معدنى ضخم يتحرك متناقلا وبنقة فى طريقه لأن ينغلق بصفقة رهيبية.. ذات صدى.

من يوميات غابة

تقاطر

تلاحقت نغمات " لاف ستورى " من الموبايل المتدلى من عنقها الطويل.. رغم عجلتها توقفت الغزالة " لولو " تحت شجرة صنوبر ضخمة تقرأ الاسم المجاور للرقم "أوف.. غزال سخيـف.. فوق شذوده فهو لا يدفع مايكفى.. هـه " ..

أغلقت المحمول تماما.. تلفتت..أين عيادة هذا القرد ؟..

اقتربت من الباب الخشبي المخفى تحت أكمة.. قبل أن تدقه بقوائمها كان الدكتور/شمس قد قفز أمامها من أعلى شجرة تتدلى من صدره المشعر سماعة طيبة.. اتسعت فتحنا أنفه المحمرتين وهو يزوم محركا ذيله في سأم - أى خدمة؟

وجلت قليلا.. تـماسكت وهي تهـمس مضطربة -أنا قادمة لك من عند المهرة سوسو.. سو.. سو

هرش بأظافره الطويلة أعلى رأسه الصغير مهمهما - آه..نعم ..
تذكرتها .. أنتى أيضا؟ .. أمم .. كم شهر؟

ارتجف جلد بطنها متماوجا .. أغمضت عينيها فى محاولة للم شتات
الذاكرة- شهرا ونصف على ما أعتقد.. قد يكونا شهرين.

مد أطراف أنامله السلامية يتحسس جوانب بطنها.. مط بوزه وهو يهز
وجهه فى قلق - الأمر صعب.. لقد بدأ الجنين فى التحرك .. أدخلى.

ضربت برأسها الباب ودخلت.. تفحصت المنضدة الطويلة تعلوها
حلقتين متدليتين تتعلق فيهما الأرجل الخلفية للأنثى تماما كما حكى لها
سوسو وهي ترتعد - سأدفع لك ضعف ما دفعته سوسو.

بكف مفرودة مشعرة بكثافة أشار إلى المنضدة والحلقتين اللتان رفعهما
إلى الأعلى لنتناسبا مع قوائمها الطويلة - إذن لنبدأ.. فقط ساعدنى
بالحفاظ على هدوئك وتحمل بعض الألم.. اتفقنا؟

تمددت بظهرها فوق المنضدة.. بسلسلة شد الحلقتين مباعدا تماما ما
بين قائمتيها الخلفيتين..من بخاخة رش دفتين من مطهر ..وهو يوليها
ظهره يتفحص أدواته سأل فى رتابة - دواع مهنة ؟..أم.. تنظيم أسرة؟

كانت ترتعش وهي تتابعه يلتقط جفتا خشيا طويلا متسائلة ما الداع لكل هذا الطول الا اذا كان سيصل بطرفه الحاد بعيدا في أعماقها -أنا لم أتزوج بعد.

- هي رابع حالة هذا الأسبوع..ماذا جرى لإنات هذه الغاية ؟

- لقمة العيش.

التفت إلى الضوء المنقطع المنبعث من جهازها المحمول بموديله الحديث.. بنصف ابتسامة عقب - هه.

مفاجئاً دفع بالجفت عميقا فى رحمها.. صرت لولو على أسنانها الضخمة.. تلاحقت من جبينها حبات عرق لزجة.. انبثق مخاط أبيض منسابا ليفترش الطاولة تحت مؤخرتها.. دس جذع شجر رفيع وقد قلمه بحافة اسطوانية ناعمة.. انزلق خارجا كيس شفاف يتحرك بداخله في وهن غزال جنينى غير مكتمل.. فى حركة خاطفة مزق بالمشرط الحبل الواصل بين الكيس وجوف لولو.. صرخت فى ألم.. تتابعت الرفسات الصغيرة فجأة داخل الكيس قوية متشنجة فى اعتراض قبل أن تهدأ فجأة بارتجافات متباعدة لتسكن بعدها تماما..

تحاملت لولو على نفسها.. أخيرا استطاعت أن تقف فى اعياء كامل.. مد د. شمس يده بلفة تقطر منها الدماء.. سألت وهى تنظر ناحيتها فى إعياء وحيرة - ماذا سأفعل به الآن؟.. تصرف انت.

- آسف.. بعيدا عن هنا.. اتركه تحت أى شجرة.. ستتولى الذئاب بقية المهمة.

تناولت لولو أطراف اللفة بين أسنانها.. فى اعياء تحركت منصرفة.. مبتسما كان د. شمس يتابع حركة رديها.. التفتت إليه -بمجرد أن أسترد عافيتي سأدفع لك.

ضحك عاليا وقد لفت النشوة ما بين فخذيه - مفهوم.. مفهوم.. مع السلامة.

قبل أن يبتلع لولو التفاف الأشجار.. لاحظ بأن تقاطر الدم من الكيس الذي تحمله قد تباطأ تماما.

افتتاح

انتفخت أوداج صفى القردة والكلاب الوولف الضخمة بالنفخ فى البروجى تحية للضيف الكبير.. استمر الرائد/ ضبع محتفظا بنصف ابتسامة.. مجمدا حركة ذيله المنتصب فى احترام عسكرى.. متقدما بخطوتين تشريفيتين اللواء / فهد مدير أمن الغاية وهو يجتاز به أسوار السجن الجديد ...

شق الهواء أزيز كراج ينتهي بارتطام نو صدى مكتوم على لحم عار.. آهة طويلة ممزقة.. فى غير اكتراث أدار اللواء فهد وجهه يتابع.. قرد مربوط ووجهه إلى جذع شجرة ضخمة.. صلبت ذراعاها المشعرتان على امتدادهما.. بينما قرد ضخم كثيف شعر الصدر يضغط على كامل أسنانه ويمد بوزه المحمر فى غضب وهو يهوى بالكراج تاركا على الظهر توقيعا طوليا ملتها..

- ما تهمة؟

دون أن تهتز نصف الابتسامة.. بصوت خفيض مشحون بالثقة -
يدعو لتحويل الغابة إلى مستعمرة دينية.. مدعيا الامارة.

طوح اللواء فهد بنظرة ساخرة وهو يرمى بكفه فى سأم - أعرفهم ظهرا
لبطن.. يحاولون تلويث العقول.. ملوثون.

استمر الموكب الأمنى فى تجواله.. فى لباقة كان الرائد ضبع يستعرض
أحدث أجهزة الصعق الكهربائى معقبا فى أكاديمية بأنها تسبب هبوطا
فى الدورة الدموية دون أدنى أثر لشبهة جنائية عند تشريح الجثة..
منفاخ مزود بعداد إلكترونى يضبط هوائه على حجم أمعاء كل حيوان
إلى ما قبل الانفجار بدققة واحدة.. حوض يفيض بحمض الكبريتيك
تصطك على حافته ركب أشجع الخصوم السياسيين للأسد الملك..
يقبل الأيدى والأرجل والأدمغة.. لكنه بعد دفعة مفاجئة فى الظهر
تصبح متاعبه مجرد ذكرى تطفو مع بقايا من عظامه على وجه
الحمض..

- فالتفضلون سيادتكم بإلقاء نظرة على جناح البكرات المعلقة.

من الفضاء.. بين شجرتين عاليتين.. ينسكب سهيل مجروح بأهات..
رفع اللواء رأسه حتى سقط عنه كابه العسكرى.. حصان مقلوب معلق
من قوائمه الأربع فى سلاسل معدنية طويلة تمر على بكرة ضخمة

بينما أطرافها الأخرى مربوطة إلى خصور أربعة أحصنة عسكرية على الأرض فى اتجاهات متخالفة.. يتقاربون بمؤخراتهم فيهبط ليغوص بعينيه الجاحظتين ووجهه المسلخ وفتحتي منخاره المرتعشتين فى حوض الماء الساخن.. تتوالى بداخله " بق بق بق بق " مع انتفاضات تشنجية للرأس والروح.. تجرى الأحصنة الأربعة متباعدة فيعاود الارتفاع ناحية الشمس .. مفسوخ الأرجل.. جاحظ العينين.. فاغرا فكين ينتفضان انتفاضة الموت.. بينما الماء يتساقط من ذؤابات شعره الطويل..

- ما تهمته؟

- ضبطناه ضمن مجموعة تروج لأفكار الحادية تمس الدين.

- همم.. أعرفهم.. يحاولون تلويث قيمنا الروحية.. قاذورات.

ارتفعت بين الأشجار أصوات بعض الوطاويط بالتحية العسكرية.. رفع الفهد طرف ذيله المرقط يردها فى تناقل هاشا ذبابة فى نفس الوقت..

- من هنا سيادتكم.. تفضلوا.

توقف الموكب فجأة يتابع.. خروف يأمئ بغضب فى وجه خروفيين آخرين قد شلا حركته تماما.. خروف آخر عريض الصدر تعلق كتفه ثلاثة شرائط عسكرية يعاود محاولة الركوب على ظهره.. مباحدا ما بين ساقيه الخلفيتين.. محاولا التمكن.. جحظت عينا اللواء فهد فى شبكية.. استمر يتابع بكل خلايا جسده الضخم بينما الرائد ضبع يعلق - فى

التحقيقات كان ينكلم كثيرا عن حقوقه كحيوان فى غابة حرة.. كان صوته عال بشكل ملحوظ.. يحاول أن يكون ذكرا علينا.. سنفهمه بطريقتنا أن الذكورة هبة منا.. نستردها فى أى وقت.

تقدم واحد من الثعالب بدلو زجاجى من دم طاووس مثلج وابتسامة ترحيب.. قبل أن يهبط به اللواء /فهد عن فمه فارغا لمح ذيل مرقط بالأسود يتسلل فى تعب ومذلة من بين قضبان حديدية ضيقة تتوازي على جوانب قفص مظلم صغير.. أشار بذيله متسائلا..

-ابن عم سيادتكم يا افندم.

- آه.. نعم.. العدالة لا تعرف قريب ولا غريب.. لكن.. ألا ترى أن القفص أضيق من وقوف فهد؟

- إنه راعع بداخلها على ركبتيه منذ شهرين تقريبا.. كما أطلقنا عليه بعض العقارب المحترفة التى تم تعينها هنا مؤخرا.

- أنت مبدع أيها الرائد.. أخيرا ستنتهي ميوله الصحفية العبيطة وسيكف عن الكتابة فى مجلة الغابة الحرة.. أو فى أى مجلة.. كان يصفنى بأنى سا..سا.. ماذا؟

- سادى يا افندم.

- نعم.. كلمات غريبة لا أدرى من أى مزابل يأتون بها.

قبل أن يصل موكب الزيارة إلى باب الخروج.. كان قلب اللواء /فهد مشبعا بالرضى.. حتى أنه استمر لدقائق يربت على كتفى الرائد ضبع تحت فلاشات التصوير المتعاقبة مخرخرا بالثناء على حرفيته وإخلاصه لعمله.. معلنا أن قرار ترقيته عميدا سيوقعه فى مكتبه غدا.. شب الرائد ضبع على قائمته الخلفيتين فى نشوة مكتومة ضاربا تحية عسكرية مشبعة بذكورة زائدة.



قليل جدا من كتاب القصة القصيرة من
يستطيع أن يقبض على ناصية الحدث.. لكن
القاص محمد عبد الواحد يفعل ذلك باقتدار
لأنه يمتلك موهبة القص بالسليقة.

(من كتاب زوايا الرؤية للناقد/ ربيع مفتاح)

محمد عبد الواحد.. حالة إبداعية وإنسانية فريدة.. ولولا التغريب لصار
من أهم مبدعى الساحة الأدبية المصرية والعربية.. في هذه المرحلة.
(القاص وسكرتير تحرير مجلة الهلال / محمد شلبي أمين)

هذا هو الأديب الذي يكتب القصة القصيدة

(الشاعر / إبراهيم رضوان)

عزيزى القارئ.. احترس..

توجد هنا كوابيس محكمة الصنع ستظل تطاردك لأسابيع عديدة.

(القاص /د.عبد المنعم الباز)

محمد عبد الواحد من كتاب القصة القصيرة اللذين يشدون المتلقى إلى
قراءة قصصه حتى النهاية دون ملل أو توقف.. وهي سمة من أهم
سمات القص القصير المتميز.. صاحب جملة قصصية جيدة تعرف
معنى التركيز والتكثيف في سرد القصة القصيرة.

(القاص / محمد خليل)

ألوان

٧	أصفر .. أحمر .. برتقالي ..
١١	طررررروت
١٧	نباح
١٩	تاك .. توك
٢٣	المزرعة
٣٥	تربص
٣٩	فى النهر
٤٣	قطة رمادية مبقعة بالأسود
٤٩	إعادة التحقيق حول مقتل كليبر
٥٣	صندوق
٥٧	جلجل

أبي

٦٧	جرح على يمين الجبهة
٧١	غرفة
٧٥	قفة
٧٩	كف أبى
٨٣	زيارة
٨٥	ركلة

عسلیة ٨٧

صدى ٩١

من يومیات غابة

تقاطر ٩٥

افتتاح ٩٩